بسم الله الرحمن الرحيم

دولة فلسطين

وزارة التربية والتعليم العالي

علـــوم القـــرآن

للصف الثاني عشر

فرع التعليم الشرعيّ

المؤلفون

د. إسماعيل أمين نواهضة «منسقاً»

أ. د. حلمي كامل عبد الهادي

د. عودة عبد عودة عبد الله

أ. مسعود عبد الحفيظ ريّان

د. إياد عبدالله جبور «مركز المناهج»

قررت وزارة التربية والتعليم العالي في دولة فلسطين
تدريس كتاب علوم القرآن لفرع التعليم الشرعي ابتدءً من العام الدراسي ٢٠١٠/٢٠١١

- **الإشراف العام:** أ. علي شحادة مناصرة / مدير عام المناهج الإنسانية والاجتماعية

- **الفريق الوطني لمنهاج التعليم الشرعيّ:**

الإشراف والتنسيق الإداري للفريق الوطني:

أ. علي شحادة مناصرة / مدير عام المناهج الإنسانية والاجتماعية / وزارة التربية والتعليم العالي

أ. حسام محمد أبو الرب / وكيل مساعد / وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

أ. محمد جهاد الكيلاني / قائم بأعمال مدير عام التعليم الشرعي / وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

الفريق الوطني:

د. إياد عبد الله جبور «منسقاً»

د. إسماعيل أمين نواهضة

د. حمزة ذيب مصطفى

د. سعيد سليمان القيق

د. شفيق موسى عيّاش

- **تحكيم علمي:** د. محسن سميح الخالدي
- **تحرير لغوي:** أ. رائد شريدة
- **الإخراج الفني:** أ. كمال فحماوي

الطبعة الأولى التجريبية

٢٠١١م/ ١٤٣٢ هـ

© جميع حقوق الطبع محفوظة لوزارة التربية والتعليم العالي/مركز المناهج

مركز المناهج –حي المصيون–شارع المعاهد–أول شارع على اليمين من جهة مركز المدينة

ص .ب ٧١٩ – رام الله – فلسطين، تلفون ٢٩٦٩٣٥٠-٢-٩٧٠+ فاكس ٢٩٦٩٣٧٧-٢-٩٧٠+

الصفحة الالكترونية: www.pcdc.edu.ps – العنوان الالكتروني: pcdc@palnet.com

تقديم

الحمد لله الذي بحمده تتم النعم، وبتوفيقه وفضله يكتب النجاح، والصلاة والسلام على خير من عَلِمَ فعلم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار، وعلى من سلك دربه واتبع هديه إلى يوم الوعد المعلوم، وبعد،

فإن المنهاج التعليمي لأي مجتمع يمثل صورة ثقافية تربوية حضارية، يحرص أن تكون مشرقة تعبر عن أصالة معتقده وفكره، وتمثل اهتمامه البالغ في توعية أبنائه، وبناء شخصياتهم بناء يؤهلهم للإبداع في ميادينه كافة، ومن هنا جاء بناء المنهاج الشرعي الفلسطيني ترجمة لقرار مجلس الوزراء باعتماد مسار التعليم الشرعي الثانوي واحداً من مسارات التعليم الثانوي، واعتماد شهادة الدراسة الثانوية العامة – الفرع الشرعي – فرعاً من فروع الثانوية العامة في فلسطين.

كما أن التعليم الشرعي يشكل لبنة مهمة في المنهاج الفلسطيني، الذي دأبت السلطة الوطنية الفلسطينية ممثلة بوزارة التربية والتعليم العالي، على بنائه وتطويره، وصولاً إلى منظومة تربوية شاملة، تحقق تكاملاً وتفاعلاً بين فروع العلم المختلفة.

وتنفيذاً لقرار مجلس الوزراء قامت وزارة التربية والتعليم العالي ممثلة بالإدارة العامة للمناهج الإنسانية، وبالتعاون والتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بالعمل على إنجاز هذا المنهاج مروراً بعدة مراحل كان أولها بناء الخطوط العريضة للمنهاج الشرعي الفلسطيني من خلال نخبة من العلماء الأجلاء، ثم القيام بتحكيم هذا العمل كذلك من خلال نخبة من العلماء والتربويين، وبعد ذلك تم الانطلاق بالمرحلة الثانية وهي تأليف الكتب الدراسية المقررة للصفين الحادي عشر والثاني عشر بالاعتماد على مجموعة من الفرق المتخصصة والتي اعتمدت على الخطوط العريضة والأهداف التي وضعت فيها.

إن وزارة التربية والتعليم العالي لا يسعها إلا أن تتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من شارك في إنجاز هذا العمل. وإنها إذ تفخر بالكفاءات الوطنية التربوية والأكاديمية التي شاركت في إنجاز هذا المنهاج لترجو من الإخوة المعلمين العمل على المشاركة في إنجاح هذا المنهاج وتيسير الوصول إلى أهدافه، باستثمار ما يتاح من وسائل تعليمية وإمكانات تربوية، والمشاركة في إثرائه أثناء التطبيق في الميدان التربوي.

وزارة التربية والتعليم العالي
مركز المناهج
الإدارة العامة للمناهج الإنسانية والاجتماعية
نيسان ٢٠١٠ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان وكرمه وفضله على كثير من خلقه، وأنعم عليه بنعم كثيرة، أجلها وأعظمها نعمة العقل والهداية والمعرفة، وأشهد أن لا إله إلا الله حث على العلم ورفع درجات العلماء، ووصفهم بأنهم ورثة الأنبياء.

وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بسنته وسار على نهجه إلى يوم الدين وبعد:

فهذا كتاب (علوم القرآن) للصف الثاني عشر الشرعي، أعددناه وفق الخطوط العريضة التي أقرها الفريق الوطني للمنهاج الشرعي الفلسطيني.

تناولنا في هذا الكتاب بعض الموضوعات المتعلقة بعلوم القرآن مستكملين بذلك ما عرضناه من هذه الموضوعات في كتاب (القرآن الكريم وعلومه) للصف الحادي عشر، وراعينا التدرج في تناول هذه الموضوعات بأسلوب يتناسب مع مستوى الطلبة في هذه المرحلة التعليمية.

وراعينا مرحلة نموهم العقلي والنفسي والروحي والاجتماعي والانفعالي، وحرصنا عند تفسير الآيات المطلوبة من سورة النساء أن تكون المادة الدراسية ذات ارتباط بحياة الطلبة، ولها صلة بواقعهم واهتمامهم، ليتم توظيفها في الحياة العملية توظيفاً صحيحاً.

وأكدنا على إبراز عظمة الإسلام وشمولية علاجه للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والتربوية، لاسيما عند الحديث عن وحدة الجنس البشري، والحفاظ على حقوق الأيتام، والحفاظ على حقوق النساء، والولاية على اليتيم وحرمة أكل ماله، ومبدأ التوارث في الإسلام، وميراث أصحاب الفروض، وعقوبة الفاحشة في أول الإسلام، والتوبة وشروطها، ومعاشرة الزوجة بالمعروف، والمحرمات من النساء، وبعض الأحكام المتعلقة بالزواج، والنهي عن أكل المال بالباطل وقتل النفس والاعتداء عليها.

كما حرصنا أيضاً على مراعاة الفروق الفردية وتفاوت المستوى بين الطلبة من خلال تنويع أساليب عرض المادة، والتقويم، كما حرصنا على مراعاة مستوى نمو الطلبة المعرفي، وحصيلتهم اللغوية، وبينا بعض المعاني والمفاهيم الصعبة أثناء عرض المادة.

وقمنا بإثراء هذه المادة بالأمثلة العملية والأدلة الشرعية من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وتمت الإشارة إلى النصوص المطلوبة حفظاً من خلال تظليلها.

وحرصنا على عرض رأي جمهور العلماء في المسائل الخلافية معتمدين على المصادر والمراجع الأصيلة.

وحرصنا على تخريج الأحاديث الشريفة وفق منهجية علمية، وفي نهاية الكتاب ذكرنا مجموعة المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في عرض المادة الدراسية، كي يستفيد منها المعلم والطالب في إثراء المادة.

وتضمن الكتاب الوحدات الآتية:-

الوحدة الأولى: النسخ في القرآن الكريم. وتضمنت تعريف النسخ وشروطه، وما يقع به النسخ وآراء العلماء وأدلتهم في ذلك، وأقسام النسخ، وأهمية معرفة هذا العلم.

الوحدة الثانية: إعجاز القران الكريم. عرضنا فيها، تعريف الإعجاز، والفرق بين الإعجاز والمعجزة، ووجوه الإعجاز في القرآن الكريم، والإعجاز البياني والتشريعي والعلمي والغيبي.

الوحدة الثالثة: الأمثال والقسم في القرآن الكريم. وتناولنا فيها، تعريف المثل والقسم والشرط، وأنواع الأمثال في القرآن الكريم، وصيغ القسم، وفوائد الأمثال، وأركان القسم وشروطه، والعلاقة بينه وبين الشرط.

الوحدة الرابعة: جدل القرآن الكريم ومحكمه ومتشابهه. وتضمنت بيان المقصود بالجدل والمحكم والمتشابه، والتعرف إلى طريقة القرآن في الجدل والمناظرة، و التمثيل على المحكم والمتشابه، والإحكام العام والخاص، والتشابه العام والخاص.

الوحدة الخامسة: قضايا مهمة في علوم القرآن الكريم. تناولنا فيها بيان التأويل المحمود والتأويل المذموم، وفوائد استخدم الضمائر في القرآن واستخدامات الجمع والإفراد، والعطف والمقابلة والترادف، والإيتاء والإعطاء، ومفهوم السؤال والجواب.

الوحدة السادسة: تفسير الآيات (١-٣١) من سورة النساء، وراعينا إثبات الآيات الكريمة برسم المصحف الشريف وشرح معاني المفردات والتراكيب الصعبة، والمعنى التفصيلي واستنتاج الأحكام الشرعية منها، وعرض ما ترشد إليه، وإبراز القيم والفضائل الأخلاقية.

ونحن على ثقة بقدرة المعلم على الإفادة من هذا الكتاب، واستخدام خبراته في التدريس لعرض هذه المادة لطلبته بأساليب متنوعة، وكلنا أمل أن نكون قد ساهمنا في تحقيق أهداف المنهاج الشرعي في خلق جيل من الدعاة القادرين على حمل أعباء الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وتوظيف الوسائل العلمية الحديثة في تحقيق هذه الغاية الجليلة، واستيعاب المشكلات المعاصرة، والقدرة على فهمها والإسهام في حلها ضمن رؤية شرعية واعية بعيداً عن التعصب وضيق الرؤية.

والله ولي التوفيق

المؤلفون

المحتويات

الفصل الدراسي الأول			
الوحدة الأولى النسخ في القرآن الكريم	الدرس ١	الناسخ والمنسوخ	٢
	الدرس ٢	النسخ بين المجيزين والمانعين	٤
	الدرس ٣	أقسام النسخ في القرآن الكريم	٧
	الدرس ٤	أهمية العلم بالناسخ والمنسوخ	١٠
الوحدة الثانية الأعجاز في القرآن الكريم	الدرس ٥	إعجاز القرآن الكريم	١٤
	الدرس ٦	وجوه الإعجاز في القرآن الكريم	١٨
	الدرس ٧	الإعجاز البياني في القرآن الكريم	٢٣
	الدرس ٨	الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم	٢٩
	الدرس ٩	الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم	٣٤
	الدرس ١٠	الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (١)	٣٨
	الدرس ١١	الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢)	٤٢
الوحدة الثالثة الأمثال والقَسَم في القرآن الكريم	الدرس ١٢	الأمثال في القرآن الكريم	٤٧
	الدرس ١٣	القَسَم في القرآن الكريم	٥٠
	الدرس ١٤	بلاغة القَسَم في القرآن الكريم	٥٥
	الدرس ١٥	أسلوب الشرط في القرآن الكريم	٥٨
	الدرس ١٦	الشرط والقَسَم في القرآن الكريم	٦٣
الوحدة الرابعة جدل القرآن الكريم ومحكمه ومتشابهه	الدرس ١٧	الجدل في القرآن الكريم	٦٦
	الدرس ١٨	المحكم والمتشابه في القرآن الكريم	٧٣
	الدرس ١٩	الاختلاف في معرفة المتشابه	٧٦

الوحدة الخامسة قضايا مهمة في علوم القرآن الكريم	الدرس ٢٠	قواعد يحتاج إليها المفسر	٨١
	الدرس ٢١	دعوى الترادف في القرآن الكريم	٨٥
	الدرس ٢٢	العطف في القرآن الكريم	٨٨
	الدرس ٢٣	السؤال والجواب في القرآن الكريم	٩١
	الدرس ٢٤	دلالة الخطاب بالاسم والفعل في القرآن الكريم	٩٨
الوحدة السادسة تفسير الآيات (١ - ٣١) من سورة النساء	الدرس ٢٥	سورة النساء	١٠٢
	الدرس ٢٦	وحدة الجنس البشري	١٠٧
	الدرس ٢٧	الحفاظ على حقوق الأيتام	١١١
	الدرس ٢٨	المحافظة على مهور النساء وأموال السفهاء	١١٧
	الدرس ٢٩	الولاية على مال اليتيم	١٢١
	الدرس ٣٠	مبدأ التوارث في الإسلام	١٢٦
	الدرس ٣١	رعاية الأيتام وحرمة أكل أموالهم	١٣٠
	الدرس ٣٢	ميراث أصحاب الفروض (١)	١٣٤
	الدرس ٣٣	ميراث أصحاب الفروض (٢)	١٣٨
	الدرس ٣٤	عقوبة ارتكاب الفاحشة في أول الإسلام	١٤٢
	الدرس ٣٥	التوبة وشروطها	١٤٦
	الدرس ٣٦	معاشرة الزوجة بالمعروف	١٤٩
	الدرس ٣٧	المحرمات من النساء	١٥٤
	الدرس ٣٨	من أحكام الزواج	١٦٠
	الدرس ٣٩	من أحكام ملك اليمين	١٦٣
	الدرس ٤٠	النهي عن أكل المال بالباطل وعن قتل النفس	١٦٨
المصادر والمراجع			١٧٣

الفصل الدراسي الأول

الوحـــدة

١

النسخ في القرآن الكريم

الدرس

١

الناسخ والمنسوخ

اتفقت دعوات الرسل على عقيدة التوحيد وعلى الأسس العامة للتشريع التي تهدف إلى تهذيب النفس والمحافظة على سلامة المجتمع، وربطه برباط التعاون والإخاء.

واختلفت في تفصيلات هذا التشريع بما يتناسب وطبيعة العصر الذي نزلت فيه، ومن ثم جاءت الشريعة الإسلامية شاملة كاملة وصالحة لكل زمان ومكان. وقد يقتضي الأمر تغيير بعض الأحكام ونسخها مراعاة لمصلحة العباد، وابتلاءً واختباراً لهم.

فما النسخ؟ وما شروطه؟ وما الذي يقع فيه النسخ؟

■ تعريف النسخ لغة واصطلاحاً:

النسخ لغة: إزالة الشيء أو نقله. ومنه قولهم: نسخت الشمس الظل؛ أي أزالته، ونسخت الكتاب: إذا نقلت ما فيه. وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجاثية: ٢٩؛ أي ننقل أعمال العباد إلى الصحف ومن الصحف إلى غيرها.

والنسخ في الاصطلاح: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر؛ أي أنّ الله تعالى يلغي الحكم الشرعي الذي شرع أولاً بدليل يأتي لاحقاً. والحكم المرفوع يطلق عليه المنسوخ، والحكم البديل يسمى الناسخ.

■ شروط النسخ:

وضع العلماء شروطاً لا بد من وجودها لتحقُّق النسخ في الشريعة الإسلامية، من أهمها:

١ أن يكون الحكم المنسوخ شرعيّاً ثابتاً بالقرآن الكريم أو بالسنة النبوية الشريفة.

٢ أن يكون الناسخ دليلاً شرعياً متأخراً عن الحكم المنسوخ.

٣ أن يكون الحكم المنسوخ مطلقاً غير متعلق بوقت معلوم، مثل قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ البقرة: ١٠٩. فهذا مُحكم غير منسوخ بآيات القتال، فالعفو والصفح قائمان حتى يأتي الله بأمره.

٤ عدم إمكانية الجمع بين النصين لوجود التعارض الحقيقي بينهما.

٥ ألا يكون المنسوخ خبراً؛ لأنه لا نسخ في الأخبار المنسوبة إلى الله تعالى، وإنما يكون في الأوامر والنواهي؛ لأنّ هذه الأخبار ثابتة لا يجري عليها التغيير والتبديل.

■ **ما يقع فيه النسخ:**

يقع النسخ في الأوامر والنواهي، سواء أكانت صريحة في الطلب أم كانت بلفظ الخبر الذي بمعنى الأمر أو النهي، على أن يكون ذلك غير متعلق بأمور العقيدة التي ترجع إلى ذات الله تعالى وصفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر، أو الآداب الخُلُقية، أو أصول العبادات والمعاملات؛ لأنّ الشرائع كلها لا تخلو من هذه الأصول، وهي متفقة فيها؛ قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ الشورى: ١٣.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) دعوة الرسل إلى عقيدة التوحيد لا نسخ فيها.

ب ( ) العبادات والمعاملات في الشرائع السماوية متفقة في التفصيلات والتفريعات.

جـ ( ) النسخ في اللغة: إثبات الشيء وعدم إزالته.

٢ أعرف النسخ اصطلاحاً.

٣ أذكر ثلاثة شروط لا بد من وجودها لتحقق النسخ في القرآن الكريم.

٤ أعلل: النسخ يقع في الأوامر والنواهي، ولا يقع في الأخبار.

الدرس
٢

النسخ بين المجيزين والمانعين

لله حكمة في إثبات حكم شرعي، أو رفعه، ابتلاءً وامتحاناً للناس، أو تخفيفاً عنهم، فالله تعالى لا يشرع من الأحكام إلا ما فيه مصلحة للعباد، والقول بالنسخ هو مذهب جمهور علماء المسلمين، الذين قالوا بجوازه عقلاً ووقوعه شرعاً.

أدلة وقوع النسخ:

استدل جمهور العلماء من الفقهاء والمحدّثين والمفسرين على وقوع النسخ بمجموعة من الأدلة العقلية والنقلية، أهمها:

١ أنّ الله تعالى يحكم ويأمر بما يشاء، وينهى عمّا يريد، وهو أعلم بمصالح العباد، فقد يشرع الأمر في وقت ما، ثم ينسخه ويرفعه إذا شاء.

٢ نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الدالة على جواز النسخ ووقوعه، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ النحل: ١٠١، وقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ﴾ البقرة: ١٠٦؛ فالآيتان تدلان على وقوع النسخ، وأنّ الله تعالى إذا نسخ حكماً جاء بمثله أو بخير منه.

٣ وقوع النسخ في القرآن الكريم فعلاً في بعض الأحكام، ومن ذلك نسخ عدة المرأة المتوفى عنها زوجها؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ﴾ البقرة: ٢٤٠، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًاۖ﴾ البقرة: ٢٣٤؛ فهاتان الآيتان فيهما نسخ؛ لأنّ موضوعهما واحد، هو عدة المرأة المتوفى عنها زوجها. الأولى: حددت العدة بعام كامل. والثانية: حددت العدة بأربعة أشهر وعشر ليالٍ. والمنسوخ هو الحكم الوارد في الآية الأولى، والناسخ هو الآية الثانية، التي حددت عدة المتوفى عنها زوجها بأربعة أشهر وعشر ليالٍ، وهذا في باب نسخ الحكم مع بقاء التلاوة كما سيأتي.

وحكمة التشريع من هذا النسخ ظاهرة، وهي التخفيف من سنة إلى أربعة أشهر وعشراً، والمعروف أنّ الانتقال من الأشد إلى الأخف أدعى لامتثال الأمر وطاعة المحكوم به، وفيه بيان لرحمة الله عز وجل لعباده، وهو هدف تربوي عظيم عند أولي الألباب.

رأي أبي مسلم الأصفهاني المعتزلي:

تفرد محمد بن بحر أبو مسلم الأصفهاني المعتزلي بالقول: إنّ النسخ لم يقع في الشريعة الإسلامية وإن كان يجوز وقوعه في العقل، على معنى أنه ليس مستحيلاً في العقل، واستدل على رأيه بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤٢، وفسر الآية: بأنّ أحكام القرآن لا تلغى ولا تبطل فلا يحصل فيها النسخ، وحمل الآيات التي تدل على النسخ على التخصيص والتقييد؛ أي تخصيص العام، وتقييد المطلق.

وردّ عليه العلماء بأنّ معنى الآية: أنّ القرآن لا يوجد ما يبطله مما سبقه من الكتب ولا يأتي بعده ما يبطله، فلا دليل فيها لما ذهب إليه من إنكار النسخ.

موقف اليهود من النسخ:

أنكر اليهود النسخ مستدلين على قولهم بدليل عقلي، وهو أنّ النسخ يستلزم أنه ظهر لله ما كان خافياً عليه، وهو ما يسمى بـ(البَداء)، فشرع الحكم الأول ثم ظهر له خلافه فرفعه ونسخه، أو ظهرت له حكمة لم يكن يعلمها فعلمها، وهذا لا يجوز على الله؛ ولذلك فإنّ النسخ عندهم لا يجوز.

وقول اليهود هذا غير صحيح، ويمكن الرد عليه بما يأتي:

١ القول بالنسخ لا يستلزم أنّه ظهر لله ما لم يكن يعلم، بل إنّه يعلم حكمة الناسخ وحكمة المنسوخ من قبل، ولم يتجدد علمه تعالى بذلك، وهو ينقل العباد من حكم إلى حكم حسب ما علمه من مصلحة العباد في ذلك.

٢ يقول اليهود بأنّ شريعة موسى عليه السلام ناسخة لما قبلها، وهذا إقرارٌ منهم بوقوع النسخ.

٣ وقوع النسخ في شريعة موسى عليه السلام، فقد حرم الله على بني إسرائيل بعض المطعومات بعد أن كانت حلالاً بسبب ظلمهم؛ قال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ آل عمران: ٩٣، وقال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ النساء: ١٦٠.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) ذهب اليهود إلى جواز القول بالنسخ؛ لأنّ فيه مصلحة للعباد .

ب ( ) لا فرق بين القول بالنسخ وإثبات البَداء لله عز وجل .

جـ ( ) القول بالنسخ هو مذهب جمهور علماء المسلمين .

د ( ) ذهب أبو مسلم الأصفهاني إلى إنكار النسخ في القرآن الكريم .

٢ أعلل : إنكار اليهود للنسخ .

٣ كيف تردّ على قول اليهود بعدم وقوع النسخ؟

٤ أبين مذهب أبي مسلم الأصفهاني في النسخ، ودليله .

٥ أستشهد بآية قرآنية تدل على وقوع النسخ في القرآن الكريم .

الدرس
٣

أقسام النسخ في القرآن الكريم

لمعرفة الناسخ والمنسوخ أهمية كبيرة عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين والمفسرين حتى لا تختلط الأحكام، لذلك فقد بيّن العلماء طرق معرفة النسخ في القرآن الكريم، وأهم أقسامه، وهذا ما سنتناوله في هذا الدرس إن شاء الله تعالى.

طرق معرفة النسخ:

لمعرفة الناسخ والمنسوخ طرق هي:

١ **القول الصريح من النبي ﷺ**، ومثاله: قوله ﷺ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها**»[١]، ففي هذا الحديث الشريف حكمان مختلفان، وهما: النهي عن زيارة القبور، ثم الأمر بزيارتها. وفيه ما يدل على أنّ النهي عن الزيارة كان سابقاً؛ وذلك في قوله ﷺ: «**كنت نهيتكم**»، ثم جاء الأمر بالزيارة بعد هذا النهي فنسخ المتقدم.

٢ **معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ**، كأن يذكر الراوي التاريخ بأن يقول هذا متقدم وهذا متأخر، أو ينسب آية أو حديث إلى غزوة، ويذكر غيره ما يتعارض مع هذا المذكور منسوباً إلى غزوة أخرى معلوم تأخرها، فيكون آخر الأمرين ناسخاً لأولهما.

٣ **الإجماع**: ولا نريد بالإجماع أن يكون ناسخاً؛ لأنّ الإجماع لم يكن إلا بعد وفاة الرسول ﷺ ولا نسخ إلا في حياته؛ لأنّ النسخ لا يكون إلا بالوحي، وإنّما المراد أنّ الإجماع طريق موصل لمعرفة الناسخ والمنسوخ، فإذا أجمعت الأمة على نسخ آية أو حديث، فلا بد من المصير إلى هذا الإجماع، وذلك كإجماعهم على أنّ وجوب صوم رمضان ناسخ لوجوب كل صوم قبله.

ولا يُعتمد في إثبات الناسخ والمنسوخ على الاجتهاد، أو أقوال المفسرين، أو التعارض الظاهري بين النصوص.

---

١ أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور.

أقسام النسخ:

ينقسم النسخ بشكل عام إلى أربعة أقسام، هي:

الأول: **نسخ القرآن بالقرآن:** وأجمع القائلون بالنسخ على جوازه ووقوعه. وهو ثلاثة أنواع سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى

الثاني: **نسخ القرآن بالسنة: وهذا نوعان:**

- **نسخ القرآن بالسنة الآحادية:** وجمهور العلماء على عدم جوازه؛ لأنّ القرآن متواتر يفيد القطع واليقين، والسنة الآحادية ظنية، ولا يُنسخ اليقين بالظن.
- **نسخ القرآن بالسنة المتواترة:** وهذا النوع جائزٌ عقلاً؛ لأنّ القرآن الكريم والسنة المتواترة كلاهما قطعي الثبوت، ويجوز نسخ القطعي بالقطعي. وهذا النوع وإن كان جائزاً عقلاً إلا أنه غير واقع بالفعل، إذ لا يوجد حديث متواتر ناسخ لآية قرآنية.

الثالث: **نسخ السنة بالقرآن:** وهذا جائز على رأي جمهور العلماء، ومثاله: التوجه إلى بيت المقدس في الصلاة كان ثابتاً بالسنة ثم نسخ بالقرآن؛ قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ البقرة: ١٤٤.

الرابع: **نسخ السنة بالسنة:** وهذا النوع جائز عند الجمهور.

أنواع النسخ في القرآن

النسخ في القرآن الكريم ثلاثة أنواع، هي:

الأول: **نسخ التلاوة والحكم معاً:** ومثاله: ما ورد في حديث عائشة أنّها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ، وهنّ فيما يقرأ من القرآن»[1]. فالرضعات العشر منسوخة الحكم والتلاوة.

والأظهر أنّ التلاوة نسخت ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ، فتوفي وبعض الناس يقرؤها.

الثاني: **نسخ الحكم وبقاء التلاوة:** وهذا النوع هو أشهر الأنواع، وهو الذي ألفت فيه الكتب، وتفاوت المؤلفون في عدد الآيات المنسوخ حكمها مع بقاء تلاوتها بين مكثر ومقلّ. والصحيح أنّ عددها قليل لا يتجاوز عشر آيات. ومن الأمثلة على هذا النوع قوله تعالى:

١ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات، رقم (٣٦٧٠)، ٤/ ١٦٧.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ المجادلة: ١٢ . فوجوب تقديم الصدقة قبل مناجاة النبي ﷺ نسخ بعد ذلك في السورة نفسها؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ المجادلة: ١٣ .

الثالث: نسخ التلاوة وبقاء الحكم: ومن أمثلته آية الرجم، فقد صح عن عمر بن الخطاب وأُبَي بن كعب رضي الله عنهما أنّهما قالا: « كان فيما أنزل من القرآن، الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة»[1]. كما يدل على هذا النوع روايات أخرى جاءت في الصحيحين، وبعض أهل العلم يردون هذا النوع من النسخ؛ لأنّ الأخبار فيه أخبار آحاد، ولا يجوز القطع بإنزال قرآن أو نسخه بأخبار آحاد.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) يعتمد في إثبات النسخ على الاجتهاد

ب ( ) جمهور العلماء على القول بعدم جواز نسخ القرآن بالسنة الآحادية.

جـ ( ) توجد أحاديث متواترة ناسخة للقرآن ولكنها قليلة.

د ( ) نسخ الحكم مع بقاء التلاوة هو أشهر أنواع النسخ في القرآن الكريم.

هـ ( ) أجمع العلماء على إثبات نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

٢ أذكر طرق معرفة الناسخ والمنسوخ.

٣ أمثل على:

- نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.
- نسخ السنة بالقرآن.

١ أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الحدود، باب الرجم، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه. أو في السلسلة الصحيحة رقم (٢٩١٣) (٧/ ١١٤).

الدرس

٤

أهمية العلم بالناسخ والمنسوخ

من العلوم اللازمة للمفسر والفقيه علم الناسخ والمنسوخ، فلا يمكن تفسير النصوص الشرعية واستنباط الأحكام العملية منها دون الوقوف على معرفة هذا العلم.

فما أهمية العلم بالناسخ والمنسوخ؟ وما الحكمة من النسخ؟

أولاً: أهمية العلم بالناسخ والمنسوخ:

تظهر أهمية هذا العلم والحاجة إليه فيما يأتي:

١ يحتاج المفسر والفقيه لهذا العلم حتى لا يقع في الخطأ في فهم مراد الله تعالى، ومعرفة الأحكام التي تستنبط من النصوص الشرعية. فقد روي أنّ علياً ﷺ مرّ على قاصٍ يعظ الناس فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، فقال: هلكتَ وأهلكت.

٢ يساعد علم الناسخ والمنسوخ على الفهم الدقيق للنصوص الشرعية التي يظهر التعارض فيما تدل عليه من أحكام؛ وذلك بمعرفة أنّ النص اللاحق ينسخ حكم النص السابق رحمة بالعباد، ومثال ذلك: أنّ المرأة المتوفى عنها زوجها كانت عدتها حولاً كاملاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ البقرة: ٢٤٠، ثم نسخ هذا الحكم بنص لاحق تخفيفاً على النساء؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ البقرة: ٢٣٤، فقد انعقد الإجماع -كما نقل القاضي عياض- على أنّ عدة المرأة المتوفى عنها زوجها سنة كاملة منسوخ بهذه الآية، وأنّ عدتها أربعة أشهر وعشرة.

٣ يتعلم الداعية من هذا العلم مخاطبة الناس بالرفق واللين؛ لتغيير ما اعتادوا عليه من منكرات، فيربيهم على المنهاج القويم، وفي هذا إظهار لواقعية هذا الدين، وقدرته على مواجهة المشاكل والتحديات بالحلول المناسبة لكل عصر. فلا يصح القول بالنسخ لمجرد وجود التعارض الظاهر بين النصوص بل لا بد من الفهم الدقيق، فإن أمكن إزالة التعارض فلا يقال بالنسخ، ومثال ذلك: أنّ الآيات القرآنية التي نزلت في مكة منعت المسلمين من مواجهة الأذى الذي كانوا يتعرضون له، بل طلبت منهم العفو بقوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ

وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ المائدة: ١٣ ؛ فآيات العفو نزلت لمعالجة واقع وظرف معين، فإن تَعرض المسلمون لمثل هذا الواقع وتلك الظروف، فالمطلوب منهم العفو والدعوة بالحكمة والصبر على الأذى.

■ ثانياً: الحكمة من النسخ:

إنّ الله تعالى حكيم في تشريعاته، عليم بمصلحة عباده، فهو الذي خلقهم، ويعلم بالمنهج والتشريع الأصلح لهم؛ قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ الملك: ١٤.

وتظهر الحكمة من النسخ فيما يأتي:

١ **التيسير على المسلمين لرفع الحرج والتخفيف عنهم**: فالله تعالى في تشريعاته يريد اليسر بعباده، واليسر من خصائص التشريع الإسلامي، ومن أمثلة ذلك: أنّ الله تعالى أمر المؤمنين بالصبر والثبات في قتال المشركين بعد إقامة دولتهم؛ وذلك للدفاع عن دعوتهم وكيانهم، فجاء الأمر بوجوب ثبات الواحد منهم أمام عشرة من المشركين بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ ﴾ الأنفال: ٦٥، ثم نسخ هذا الحكم تخفيفاً على المسلمين بقوله تعالى: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الأنفال: ٦٦، فأوجبت الآية الكريمة أن يثبت الواحد من المسلمين أمام اثنين.

٢ **الابتلاء والاختبار**: فالمؤمن الصادق يلتزم بحكم الله تعالى في كل الأحوال والظروف، فإن بدّل الله حكماً من الأحكام بحكم آخر؛ لحكمة قد يعلمها الإنسان وقد لا يعلمها، فإنّه بذلك يبتلي عباده ويختبرهم، فيظهر المؤمن من المنافق. ومثال ذلك: أنّ الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يستقبل المسجد الأقصى في الصلاة؛ ليكون قبلتهم الأولى، ثم أمره باستقبال الكعبة الشريفة بقوله: ﴿ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ ﴾ البقرة: ١٤٤، وبيّن حكمة ذلك بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ ﴾ البقرة: ١٤٣.

٣ **إظهار فضل الله تعالى على الأمة وإرادة الخير لها**: فالله تعالى لا ينسخ حُكماً إلا ويشرع لهم أمراً خيراً منه أو مثله؛ قال تعالى: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ﴾ البقرة: ١٠٦.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) يشترط في المفسر والفقيه العلم بالناسخ والمنسوخ

ب ( ) يكون الحكم الناسخ دائماً أيسر وأخف من الحكم المنسوخ .

جـ ( ) يتعلم الداعية من علم الناسخ والمنسوخ أسلوب الدعوة في مخاطبة الناس حسب ظروفهم وأحوالهم .

د ( ) من حِكَم الناسخ والمنسوخ الابتلاء والاختبار .

٢ يساعد علم الناسخ والمنسوخ المفسر والفقيه في إزالة التعارض الظاهر بين النصوص الشرعية . أوضح ذلك مع التمثيل .

٣ أذكر حكمتين من حِكم النسخ، مع التمثيل من القرآن الكريم .

الوحـــدة

٢

الإعجاز في القرآن الكريم

الدرس

٥

إعجاز القرآن الكريم

جرت سنة الله تعالى أن يبعث الرسل لهداية الناس إلى المنهج الحق وإصلاح أمورهم في الدنيا والآخرة، وإثبات صدق دعوتهم ورسالتهم؛ ولذا أيدهم بالمعجزات.

فما المعجزة؟ وما الفرق بينها وبين الإعجاز؟ وما المقصود بإعجاز القرآن الكريم؟

الإعجاز لغة واصطلاحاً:

الإعجاز لغة: مشتق من عَجز بمعنى ضعف، فالإعجاز: إثبات العجز؛ قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ﴾ المائدة: ٣١؛ أي أضعفت أن أكون مثله.

وإعجاز القرآن الكريم معناه: إثبات عجز البشر، وعدم قدرتهم على الإتيان بمثل القرآن؛ لإظهار صدق النبي ﷺ في دعوى النبوة والرسالة.

الفرق بين المعجزة والإعجاز:

المعجزة: هي الأمر الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، السالم من المعارضة، يُجريه الله تعالى على يد نبي مرسل من أنبيائه، تصديقاً له في دعوته، وإثباتاً لرسالته.

وأمّا **الإعجاز**: فهو عدم قدرة البشر وعجزهم عن الإتيان بالمعجزة التي تحدى بها الرسول قومه؛ لإثبات صدق الدعوة.

فالمعجزة هي ما تحدى بها النبي قومَه؛ كنجاة إبراهيم عليه السلام من النار، وقدرة عيسى عليه السلام أن يخلق من الطين طيراً بإذن الله.

وأما الإعجاز فإثبات عجز القوم وعدم قدرتهم أن يأتوا بمثل المعجزة.

وتجدر الإشارة أنّ الاكتشافات العلمية لا تعد من المعجزات؛ لأنّها تكشف عن السنن والقوانين التي أودعها الله في الكون، والعلماء لا يقدرون على خلق وإيجاد هذه السنن في الكون.

شروط تحقق المعجزة:

يشترط لتحقق المعجزة ما يأتي:

١ أن تكون أمراً خارقاً للعادة؛ أي تجري على خلاف سنن الكون، فالعصا جماد مصنوع من

الخشب، إلا أنّ الله تعالى جعل فيها الحياة فصارت أفعى تلقف ما صنع السحرة. وهذا أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فهو الذي خلق الأشياء وأودع فيها الخواص والقوانين، ولا يقدر على تغييرها إلا الله.

٢ أن تأتي على يد من يدّعي الرسالة؛ ليثبت بها صدق رسالته ونبوته.

٣ أن يتحدى بها النبي قومَه؛ لإثبات عجزهم عن الإتيان بمثلها.

٤ وجود الدافع لرد التحدي، فقد جاء الأنبياء بعقيدة وشريعة تخالف ما عليه أقوامهم من عقائد باطله وشرائع فاسدة، وعملوا على تغييرها، وهذا يقتضي منهم بذل كل جهد وطاقة للرد على هذا التحدي لإبطال ما جاء به.

إثبات معجزة القرآن الكريم:

تحققت جميع الشروط السابقة في إثبات معجزة القرآن الكريم، وذلك بالأدلة الآتية:

١ أنزل الله تعالى القرآن الكريم على محمد ﷺ باللغة العربية؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ٢؛ فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب؛ أي أنّه جاء بمثل ألفاظهم وأساليب بيانهم، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، فلا حجة لهم في عدم قدرتهم وعجزهم عن الإتيان بمثله، ويجب عليهم التسليم بأنّ هذا القرآن من عند الله تعالى.

٢ أنّ التحدي شمل العرب وغيرهم أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله.

٣ وجود الدافع لرد التحدي، حيث إنّ القرآن الكريم هاجم عقائدهم وبين بطلانها، وسخر من آلهتهم وأصنامهم، وبيّن فساد نظمهم وتشريعاتهم؛ قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ النجم: ١٩ - ٢١. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ الزمر: ٦٤.

٤ ثبوت عجزهم عن رد التحدي، فبدل أن يأتوا بمثله اتهموا النبي ﷺ بالكهانة والشعر والسحر، ثم ادعوا أنّ الذي يعلمه غلام نصراني؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ النحل: ١٠٣، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ الصافات: ٣٦. ولم يكتفوا بذلك نتيجة عجزهم، بل قاموا بإيذاء النبي ﷺ وأصحابه بكل أصناف الأذى، وشنّوا الحروب الكثيرة للقضاء على دعوة الإسلام، ولو كان باستطاعتهم الإتيان بسورة واحدة من القرآن الكريم لهان عليهم الأمر واكتفوا بذلك.

لماذا كانت معجزة النبي محمد ﷺ عقلية؟

أيد الله تعالى الأنبياء قبل بعثة محمد ﷺ بمعجزات حسيّة شاهدها أقوامهم، وانتهت هذه المعجزات بموت الأنبياء عليهم السلام؛ لأنّ رسالتهم كانت لقوم معينين ولزمن معين. أما معجزة محمد ﷺ فكانت معجزة عقلية تتمثل بالقرآن الكريم؛ لتتناسب مع كون رسالته عامّة لكل البشر، وخاتمة الرسالات، وليظل التحدي قائماً إلى قيام الساعة.

دلالة إعجاز القرآن الكريم:

إعجاز القرآن الكريم يدلّ على عجز البشر عن الإتيان بمثله؛ لاحتوائه على عقائد وتشريعات وأخبار حدثت في الماضي وستحدث في المستقبل، واشتماله على حقائق ومعارف وتشريعات تصلح لكل زمان ومكان، فإعجازه بالنسبة لعصر النبوة يعني عدم قدرة العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله من حيث صياغة ألفاظه وأسلوبه ونظمه البياني وعظمة تشريعاته. وهذا الأمر مستمر، وفي زمننا يكتشف العلماء من مظاهر إعجازه البياني والتشريعي والعلمي ما يدل قطعاً على أنّه من عند الله تعالى، بما تضمنه من حقائق ومعارف علمية لم يعرفها العلماء إلا في هذا العصر؛ قال ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»[1].

القدر المعجز من القرآن الكريم:

اختلف العلماء في القدر المعجز من القرآن الكريم على أقوال ثلاثة هي:

١ أنّ القَدْر المعجز من القرآن هو جميعه لا بعضه.

٢ أنّ القدر المعجز من القرآن هو كل ما أطلق عليه أنّه قرآن، وإن كان أقل من سورة.

٣ أنّ القدر المعجز من القرآن سورة تامة ولو كانت قصيرة؛ كسورة الكوثر، أو ما يساويها من القرآن الكريم. وهذا هو الرأي الراجح؛ لأنّ أقلّ التحدّي جاء في القرآن الكريم لسورة من مثله.

مراحل التحدي بالقرآن الكريم:

تدرّج الله تعالى في تحدي البشر أن يأتوا بمثل هذا القرآن من الأكثر إلى الأقل ليثبت عجزهم، فكان التحدي على مراحل ثلاث، وهي:

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل.

١ التحدي بأن يأتوا بمثل هذا القرآن؛ قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ الطور: ٣٣-٣٤.

٢ تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله، وذلك بعد عجزهم عن الإتيان بمثله كله؛ قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ هود: ١٣.

٣ لما ثبت عجزهم تحداهم الله أن يأتوا بسورة واحدة من مثله؛ قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ البقرة: ٢٣.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) لا يشترط في المعجزة أن تأتي على يد رسول.

ب ( ) معجزة محمد ﷺ حسية كمعجزات الأنبياء السابقين.

جـ ( ) القدر المعجز من القرآن الكريم يتضمن الإتيان به كله.

د ( ) الاكتشافات العلمية تعد من المعجزات.

٢ أعلل: معجزة النبي ﷺ عقلية.

٣ أفرق بين المعجزة والإعجاز.

٤ أبين القدر المعجز من القرآن الكريم.

٥ أستدل على أنّ القرآن الكريم قد تحدى البشر أن يأتوا بسورة من مثله.

٦ ما الشروط الواجب توافرها في المعجزة؟

٧ كيف تثبت تحقق الإعجاز في القرآن الكريم؟

الدرس

٦

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم

القرآن الكريم كلام الله تعالى المعجز بألفاظه ومعانيه، وأسلوب نظمه وروعة بيانه، وما اشتمل عليه من الأخبار الماضية والمستقبلة، وما تضمنه من التشريعات والحقائق الكونية. ويظهر ذلك في حسن اختيار حروفه وألفاظه وطريقة نظمه، فما أوجه الإعجاز في القرآن الكريم؟ وهل عجز العرب وغيرهم أن يأتوا بمثله؛ لأنّه معجز في ذاته؟ أم أنّ الله تعالى بقدرته صرف الناس عن الإتيان بمثله؟

نظرية الصَّرفة:

ذهب بعض العلماء وفي مقدمتهم أبو إسحاق النظّام من المعتزلة، إلى القول بنظرية الصَّرفة. **وتعني هذه النظرية**: أنّ القرآن الكريم في بلاغته ليس فوق مستوى البشر، وأنّه كان بإمكان فصحاء العرب أن يأتوا بمثله، ولكنّ الله تعالى صرفهم عن معارضته بأن عطّل قدراتهم ومواهبهم. **وهذا القول باطل للأسباب الآتية**:

١ القول إنّ الله تعالى سلب بلغاء العرب العلوم التي يحتاجون إليها لمعارضة القرآن يؤدي إلى إبطال القول إنّه معجز؛ لأنّ معنى الإعجاز عدم القدرة والعجز أمام التحدي، رغم أنّ القرآن نزل بلغتهم، وهم أهل الفصاحة والبيان، وبذلك يكون المعجز هو فعل الله بصرفهم من الإتيان بمثل القرآن لا القرآن ذاته؛ لأنه لو خلّى بينهم وبين معارضه لجاؤوا بمثله أو أحسن منه حسب زعمهم.

٢ لـمّا عجز العرب عن معارضته قاموا بإيذاء النبي ﷺ وأصحابه وحاصروهم من أجل ردهم عن دعوتهم، ولمّا فشلوا عرضوا على رسول الله ﷺ المال والسلطان لإغرائه؛ حتى يكف عن دعوتهم والتعريض بمعتقداتهم وتشريعاتهم، واتهموا كلام الله تعالى بالشعر والسحر والكهانة.

٣ تأثير القرآن الكريم في نفوسهم واعترافهم بعلو منزلته وأنّه ليس كلام بشر، ويظهر ذلك في حوادث عديدة، منها ما حدث مع الوليد بن المغيرة لمّا سمع القرآن الكريم ذهب إلى قومه وقال: فو الله ما فيكم رجل أعلم مني بالشعر، لا برجزه، ولا بقصيده... والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا، والله إنّ لقَوْلِهِ لَحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه.

٤ القول بالصَّرفة يتعارض مع عدل الله تعالى؛ إذ كيف يتحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثل القرآن، ثم يسلبهم القدرة على ذلك؟!

وجوه إعجاز القرآن الكريم:

ذكر العلماء العديد من وجوه إعجاز القرآن الكريم، من أهمها الأوجه الآتية:

أولاً: لغته وأسلوبه:

يطلق الأسلوب على الطريقة التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه. والقرآن الكريم له طريقة خاصة انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، **وقد تميز أسلوب القرآن الكريم عن غيره بالخصائص الآتية:**

١ القصد في اللفظ والوفاء بالمعنى، فالقرآن الكريم يأتي بالقليل من الألفاظ التي تحوي العديد من المعاني.

٢ خطاب العامة والخاصة، فالقرآن الكريم ميسر لكل فرد، فإذا قرأه العامة من الناس أحسّوا جلاله، وذاقوا حلاوته، وفهموا منه على قدر استعدادهم، وإذا قرأه الخاصة أسرهم أسلوبه، وفهموا من أحكامه ومقاصده أكثر ممّا فهمته العامة.

٣ إقناع العقل وإرضاء العاطفة؛ فالقرآن يخاطب العقل والعاطفة معاً؛ قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ ق: ٩ - ١١، فالآية تخاطب عقولهم وتحثهم على التفكر في قدرة الله تعالى على إنزال الماء من السماء، وإنبات الحب والثمار، ليتوصلوا إلى الإيمان بقدرة الله على إحياء الموتى.

٤ البيان والإجمال، فيأتي بالألفاظ المجملة التي يستنبط منها الأحكام الكلية والمبادئ العامة في الموضوعات التي تتغير أساليب العمل بها من عصر لعصر؛ كتحقيق العدل والمساواة والشورى، ويأتي بالألفاظ المفصلة المبيّنة عندما يتعلق الأمر بأحكام ثابتة لا تتغير كأحكام: الأسرة والعبادات والأخلاق.

٥ جودة سبك القرآن وإحكام سرده، بمعنى ترابط أجزائه وتماسك كلامه وجمله وآياته وسوره، وتنوع مقاصده، فسورة الفاتحة مثلاً، تبدأ باسم الله تعالى، وتصفه بصفات الكمال، فهو الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، ثم تخصه وحده بالعبادة والاستعانة، وتطلب مداومة الدعاء بالهداية بأساليب عديدة متناسقة مترابطة.

■ ثانياً: طريقة نظمه:

فالنظم القرآني ليس على منهاج الشعر الموزون، ولا على منهاج النثر المرسل أو المسجوع، بل يجمع بين هذه المناهج في نظم بديع لا يشبهه أي كلام من كلام العرب، فنجده مثلاً يستخدم الألفاظ الرقيقة حين يكون الموقف يقتضي الرقة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ النبأ: ٣١ - ٣٤. ويستخدم الألفاظ الجزلة الفخمة حين يكون المعنى جزلاً؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا﴾ النبأ: ٢١ - ٢٦.

■ ثالثاً: علومه وتشريعاته:

فقد اشتمل القرآن الكريم على الكثير من الحقائق الكونية، والعقائد الإيمانية، وجاء بتشريعات شاملة لجميع جوانب الحياة: العبادية والروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والروحية والنفسية والإنسانية.

ومن مظاهر شمولية تشريعات القرآن الكريم أنّه:

- شرع العبادات التي تنظم علاقة الإنسان بالخالق وتزكي نفسه وتساعده على تحقيق الغاية التي خلق من أجلها، وهي الاستخلاف في الكون.
- وشرع القيم والآداب الاجتماعية التي يحتاج إليها الناس لإقامة مجتمع قائم على المحبة والتعاون والتكافل.
- وشرع لهم قواعد نظام الاقتصاد لتنظيم علاقة الإنسان بالمال تنمية واستثماراً وإنفاقاً.
- ووضع لهم أسس ومبادئ الحقوق الإنسانية وقواعد العدل والحرية والمساواة والشورى، واهتم بالتشريعات المدنية والاجتماعية والتربوية اللازمة لبناء الأسرة والدولة والمجتمع؛ ولذلك نجد أنّ العلماء في كل عصر يستنبطون من آياته ما يلزمهم من النُظُم والتشريعات التي تعالج ما استجد في حياتهم من مشكلات وحوادث.

■ رابعاً: الوفاء بحاجات البشر:

فقد اشتمل القرآن الكريم على جميع وجوه الهداية للبشر بما يصلح شؤونهم ويفي بحاجاتهم في كل عصر، فآيات القرآن الكريم تبين حاجات الإنسان الروحية والمادية، وتقر بأنّ النزعة الروحية جزء لا

يتجزأ من حياة الإنسان، لذلك شرع القرآن جملة من العبادات؛ لإشباع حاجة الإنسان الروحية، وتقر أيضاً أنّ للجسد حاجاته من الغرائز التي لا بدّ من تنظيم إشباعها أيضاً، فشرع القرآن الكريم الكثير من التشريعات؛ لتنظيم إشباع حاجات الإنسان وغرائزه. كما أنّ القرآن الكريم أقرّ الجانب الفردي والجماعي في حياة الإنسان فأنزل تشريعات وتوجيهات تنظم هذا الجانب الفردي بما لا يضر بمصلحة الجماعة. وشرع للجماعة تشريعات وتوجيهات بما لا يضر بمصلحة الفرد.

■ خامساً: إخباره عن الكثير من المغيبات:

ويشمل ذلك إخباره عن أحوال الأمم السابقة في الكثير من القصص القرآني، وإخباره عن أشياء ستقع في المستقبل؛ كإخباره عن انتصار الروم على الفرس في بضع سنين، بعد أن هُزموا هزيمة نكراء، فكان الأمر كما أخبر القرآن الكريم. وأخبر القرآن الكريم أيضاً عن انتصار المسلمين قبل موقعة بدر بقوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ الروم: ٤ - ٥، وغير ذلك من الأخبار التي ستقع في المستقبل.

■ سادساً: اشتمال القرآن الكريم على الكثير من الحقائق العلمية:

أشار القرآن الكريم للعديد من العلوم الكونية التي اكتشفها العلماء في العصور الحديثة، فلا يوجد في القرآن الكريم ما يتعارض مع الحقائق العلمية؛ لأنّ القرآن كلام الله تعالى العالم بكل شيء، وهو الذي خلق الكون ونظمه ووضع له القوانين والسنن. وقد أخبرنا الله تعالى أنه سيطلعنا على الكثير من هذه الحقائق في الكون وفي أنفسنا؛ قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ فصلت: ٥٣، ومن هذه الحقائق -على سبيل المثال- إخبار الله تعالى أنّ السماوات والأرض كانتا شيئاً واحداً، ثم انفصلتا بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنبياء: ٣٠. وهذا ما اكتشفه العلماء؛ إذ إنهم أثبتوا أنّ الكون كان مجموعة غازية واحدة، انقسمت إلى سدائم، ومن هذه الانقسامات تشكلت المجموعة الشمسية.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) يقتصر إعجاز القرآن الكريم على الوجه البلاغي فقط .

ب ( ) نظرية الصَّرفة تبطل كون القرآن الكريم معجزاً لذاته .

ب ( ) وفاء القرآن الكريم بحاجات البشر يتضمن اشتماله على تشريعات توازن بين حاجات الإنسان الروحية والمادية .

ب ( ) من خصائص أسلوب القرآن الكريم القصد في اللفظ والوفاء بالمعنى .

٢ من أوجه إعجاز القرآن الكريم الإعجاز التشريعي، أوضح ذلك .

٣ من أوجه إعجاز القرآن الكريم طريقة نظمه، أوضح ذلك .

٤ أذكر خصائص أسلوب القرآن الكريم .

٥ أمثل على إعجاز القرآن الكريم العلمي .

الدرس
٧

الإعجاز البياني في القرآن الكريم

اشتمل القرآن الكريم على وجوه كثيرة من الإعجاز، وأهم هذه الوجوه هو الإعجاز البياني الذي اتفق عليه جميع العلماء؛ لأنّه موجود في كل آيات القرآن الكريم، بخلاف الوجوه الأخرى التي توجد في بعض الآيات دون غيرها.

فما المقصود بالإعجاز البياني؟ وما أهميته؟ وما مظاهره؟

معنى الإعجاز البياني:

يطلق **البيان في اللغة**: على التوضيح والإفصاح. ويوصف اللفظ بالفصاحة إذا كان بيّناً ظاهراً.

والبلاغة تعني: إيصال المعنى إلى قلب السامع في أحسن صورة وأقوى تأثير.

أما **الإعجاز البياني فهو**: **أنْ يؤدى المعنى بطريق أبلغ من جميع ما عداه من الطرق.**

ففي مفردات القرآن وتراكيبه ما يُظهر روعة البناء والنظم، وجمال الأسلوب، ودقة الألفاظ، وغزارة المعاني والدلالات.

أهمية الإعجاز البياني:

اهتم العلماء بالإعجاز البياني اهتماماً كبيراً، وألّفوا العديد من الكتب التي تكشف عن مظاهره وأوجهه، وتظهر أهميته فيما يأتي:

١ الإعجاز البياني أساس التحدي، فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب، وهم أهل البلاغة وفرسان البيان، وهم أميّون وليسوا أهل علم، فكان التحدي لهم بما اشتهروا به، وهذا لا ينفي القول بوجوه الإعجاز الأخرى؛ لأنّ التحدي ليس للعرب وحدهم بل للبشرية جمعاء، لذا تبقى وجوه الإعجاز القرآني قائمة في كل عصر.

٢ الإعجاز البياني واقع في ألفاظ القرآن وتراكيبه وآياته، فكل لفظة من ألفاظه، أو تركيبة من تراكيبه وآياته، تتضمن وجهاً أو أكثر من أوجه الإعجاز البياني، بخلاف أوجه الإعجاز الأخرى، فتقع في بعض الآيات دون غيرها.

٣ الإعجاز البياني حفظ اللغة العربية وأبرز عظمتها، وكشف تميزها عن غيرها من اللغات، بما اشتمل عليه القرآن الكريم من الاستعارة والتشبيه والتصوير والمجاز، وباقي أوجه البلاغة المتعددة.

٤ الإعجاز البياني يُظهر دقة ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه ونظمه؛ ما يساعد في الكشف عن معانيه ودلالاته التي تشكل مادة غزيرة للمجتهدين في شتى العصور؛ لاستنباط الأحكام والتوجيهات والمبادئ بما يتناسب مع تطورات العصر ومستجداته.

أشهر الكتب التي ألفّت في الإعجاز البياني:

ألّف العلماء العديد من الكتب قديماً وحديثاً والتي كشفت عن مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ولكل منهم رؤيته الخاصة أو نظريته في الإعجاز. **ومن أهم هذه الكتب:**

١ **إعجاز القرآن للباقلاني**: ويعد هذا الكتاب من أشهر كتب الإعجاز القديمة، ويرى الباقلاني أنّ إعجاز القرآن في براعة النظم والتأليف والرصف، إضافة إلى ما فيه من أخبار الأولين وغيب المستقبل.

٢ **دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني**: اشتهر الجرجاني بنظريته الخاصة في نظم القرآن، والقائمة على اختيار الألفاظ المتفقة مع المعاني، ونظمها نظماً دقيقاً وفق قواعد النحو.

٣ **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمحمد صادق الرافعي**: ويعد الرافعي من أشهر المدافعين عن اللغة العربية والقرآن الكريم ونظمه في العصر الحديث. واهتم في هذا الكتاب بأسلوب القرآن الكريم ونظمه.

٤ **التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب**: وهو من العلماء المعاصرين، اعتنى بالكشف عن سر اختيار الألفاظ والدقة في نظمها وفق سياق خاص وبيّن جمالها، واهتم -كذلك- ببيان أساليب القرآن الكريم في الخطاب، وركز على التصوير الفني في القرآن الكريم.

مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم:

يشمل الإعجاز البياني في القرآن المفردات والتراكيب التي تتشكل منها الآيات، وفق نظرة بنائية متكاملة؛ **لأنّ البيان يقوم على الدعائم الآتية:**

١ الفصاحة في الألفاظ.

٢ البلاغة في المعاني.

٣ النظم البديع .

٤ التناغم والتناسق .

أولاً: الإعجاز البياني في المفردة القرآنية:

اهتم علماء البيان بالمفردات القرآنية واعتنوا بها عناية فائقة، وألّف بعضهم كتباً خاصة بالمفردات، ومنهم: الراغب الأصفهاني الذي ألف كتاب (المفردات في غريب القرآن).

ومفردات القرآن الكريم مختارة منتقاة، وتتميز بثلاث ميزات هي:

- جمال موقعها .
- اتساقها الكامل مع المعنى .
- اتساع دلالتها .

والأمثلة الآتية توضح هذه الخصائص:

١ قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ﴾ البقرة: ٢، تضمنت الآية الكريمة وجوهاً متنوعة للإعجاز البياني، أهمها:

- استخدام كلمة (ريب) بدل (شكّ)؛ لأنّها أبلغ في هذا السياق، فالريب يعني الشك مع القلق، أما الشكّ فهو مجرد التردد بين شيئين .
- التقديم والتأخير، فقد قدّم الريب على الجارّ والمجرور (فيه)؛ للدلالة على نفي وقوع جنس الريب عن القرآن الكريم دون التعرض لغيره من الكتب السماوية .

٢ **العام والسَّنَة**: كلمة عام في الاستخدام القرآني تشير إلى الخصب والخير، وكلمة سَنَة تشير إلى الشدة والصعوبة والقحط؛ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾ يوسف: ٤٨ - ٤٩، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾ العنكبوت: ١٤ .

٣ **الغيث والمطر**: غالباً ما يستخدم القرآن الكريم كلمة (المطر) في معرض النقمة والغضب، وأما كلمة (الغيث) ففي معرض النعمة والخير؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۖ ﴾ الفرقان: ٤٠، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ ﴾ الشورى: ٢٨ .

٤ **حذف الحروف وذكرها**: من جمال المفردات ودقة اختيارها واتساقها مع المعنى استعمال الحروف أحياناً وحذفها أحياناً أخرى؛ لحكمة معينة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴾ الواقعة: ٦٣ – ٦٥، وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا ﴾ الواقعة: ٦٨ – ٧٠.

لو تأملنا هاتين الآيتين لوجدنا أنّ الأولى أثبتت فيها اللام في قوله: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ ﴾، بينما في الثانية لم تذكر اللام ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ ﴾، وسبب ذلك: أنّ الأولى تحدثت عن الزرع، والناس يظنون أنّهم يتحكمون فيه، فهم الذين يحرثون ويزرعون، فجاء بحرف اللام؛ للتأكيد على أنّ ذلك كله بيد الله تعالى. أما الثانية فتحدثت عن الماء ولا حاجة لوجود اللام في (جعلناه)؛ لأنّ الناس يعترفون بعجزهم في هذا المجال.

■ ثانياً: الإعجاز البياني في التراكيب القرآنية:

تضمنت التراكيب القرآنية وجوهاً عديدة من أوجه الإعجاز، كلها تقوم على أساس اختيار المفردات وصياغتها وفق ترتيب ونسق معين لأداء المعنى المقصود، **ومن هذه الأوجه الآتي**:

١ **الإيجاز**: ومعناه جمع المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، ومثال ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص: ٧، إذا تأملنا هذا النص القرآني وجدنا أنّ هذه الآية الكريمة جمعت بين أمرين هما: (أرضعيه، وألقيه) ونهيين هما: (لا تخافي، ولا تحزني)، وخبرين هما: (أوحينا، وخفت)، وبشارتين هما: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص: ٧.
- قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ البقرة: ١٧٩: تضمنت هذه الآية بياناً لأثر قيمة القصاص في حياة المجتمع بكلمة واحدة هي (حياة). والحياة تحصل من القصاص؛ لأنّها تكفّ الجناة وتردعهم عن هذه الجريمة إذا عرفوا أنهم سيُقتلون، والقصاص حياة للمجتمع؛ لأنّه يشفي صدور أولياء المقتول، ويمنعهم من التفكير بقتل غير القاتل، فيوقف ذلك عادة الثأر، ويحفظ أمن المجتمع.

٢ **التقديم والتأخير**: ومعناه ترتيب المفردات عند تكوين الجملة على وجه معين بحيث يؤدي المعنى بصورة جمالية مؤثرة، فيقدم الاسم على الفعل أو الخبر على المبتدأ لحكمة وغاية. ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً ﴾ الأنفال: ١١، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ آل عمران: ١٥٤، ففي الآية الأولى قدم النعاس على (أمنة)، وهذا يتناسب مع حال المؤمنين قبل بدء معركة بدر؛ لأنّ الله وعدهم بإحدى الطائفتين، فهم في طمأنينة وحاجتهم إلى النعاس أكثر. أما الآية الثانية فقدم (أمنة) على (نعاساً)، وهذا يتناسب مع حال المؤمنين بعد انتهاء معركة أحد، فهم بحاجه إلى الشعور بالأمن والطمأنينة أكثر من النعاس.
- قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ القمر: ١٢، والمعنى: تفجرت الأرض كلها فكانت تنبع بالماء لإحداث الطوفان، ولو قال: (فجرنا عيون الأرض) لما أفاد ذلك، بل يكون المعنى أنّ العيون الموجودة في الأرض قد تفجرت، وليس هذا هو المراد.

٣ **التصوير والتشبيه**: من أوجه البيان في القرآن الكريم أسلوبه المتميز في التشبيه والتصوير، حيث إنّه يعمد إلى المعنى المجرد فيضفي عليه الحركة والحياة، ويوضحه في صورة حسية ملموسة، **ومن الأمثلة على ذلك**:

- قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾ الكهف: ٧٧: فالجدار جماد لكنّ الآية تضفي عليه معاني الحركة بكلمة يريد.
- قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ يس: ٣٨: فالشمس في دورانها كأنها إنسان يجري ويتحرك.
- قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ التكوير: ١٧ - ١٨: فكلمة عسعس تعبر عن إقبال الليل وتمدده، وكلمة تنفّس كذلك تصور الصبح كأنه كائن حي، وهذا يتناسب مع النشاط والحيوية؛ كحركة الكائنات الحية عندما يطلع الصبح.

ومن أوجه البيان التصويري للقرآن الكريم تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية وإبرازها في صورة حية، **ومن الأمثلة على ذلك**:

أ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ

أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ ﴾ يونس: ٢٤ : هذه الآية تشبّه متاع الحياة الدنيا، بدورة حياة النبات، ووجه الشبه منتزع من متعدد، فحال الدنيا في سرعة انقضائها واعتزاز الناس بها كحال الماء النازل من السماء وإنباته للعشب، وتزيّن الأرض بالخضرة والنبات، حتى إذا طمع أهلها في حصادها والانتفاع بها جاءها أمر الله وبأسه.

ب قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ البقرة: ١٧ – ١٨ : في هذه الآية تشبيه لحال المنافقين وقد ادّعوا الإسلام وتظاهروا بالإيمان، فظنوا في أنفسهم أنّ هذا الخداع لن تكون له نهاية، ولكن هيهات، فمثَلُهم كمَثَل الذي استوقد ناراً فبددت الظلمات وأضاءت ما حوله، وبينما هو كذلك في فرحه ومرحه وسروره، وإذ بهذه النار تخمد وتنطفئ فلا يبقى منها شيءٌ.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) الإعجاز البياني هو الأصل وهو موجود في جميع آيات القرآن الكريم.

ب ( ) البيان في اللغة يعني الإفصاح والإيضاح.

ج ( ) اشتهر الخطابي بنظريته في النظم القرآني.

د ( ) الإعجاز البياني يتعلق بالمفردات دون التراكيب.

٢ أعرف الإعجاز البياني.

٣ أبين أهميتين للإعجاز البياني.

٤ تتميز المفردات القرآنية بميزات ثلاث، أذكرها.

٥ من أوجه الإعجاز البياني في التراكيب التقديم والتأخير، أمثل على ذلك بمثال.

٦ من أوجه الإعجاز البياني الإيجاز، أمثل على ذلك بمثال.

٧ أقارن بين الكلمات الآتية في الاستعمال القرآني:

أ الغيث والمطر.

ب الريب والشك.

الدرس

٨

الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ما تضمنه من تشريعات شاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية؛ ما جعله يسمو فوق كل تشريع وضعي عرفه البشر في القديم والحديث. فالقرآن الكريم وضع أصول العقائد وأحكام العبادات، وقوانين الفضائل والأخلاق، وقواعد التشريع السياسي والاقتصادي والمدني، وحفظ حقوق الأفراد والأسرة والمجتمع.

وفي هذا العصر اعترفت المؤتمرات القانونية بمكانة التشريع الإسلامي، واعتبرته مصدراً من مصادر القانون العالمي، ولا غرابة في ذلك، فالقرآن الكريم دستور تشريعي كامل، يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة، ولا يستطيع أحد أن ينكر أنّه أحدث في العالم أثراً غيّر وجه التاريخ.

فما معنى الإعجاز التشريعي وما ميزاته ومظاهره؟

معنى الإعجاز التشريعي:

هو ما جاء به القرآن الكريم من نظم وتشريعات شاملة لكل جوانب حياة الإنسان بصورة توازن بين جميع مكوناته الجسمية والروحية والعقلية، وتوازن بين حاجات الفرد والجماعة على وجه محكم دقيق، يفوق ما عرفته البشرية في جميع أزمانها.

ميزات الإعجاز التشريعي:

يتميز التشريع القرآني عن غيره من التشريعات الوضعية بجملة من الميزات، من أهمها الآتي:

أولاً: التشريع القرآني رباني؛ لأنّه من عند الله تعالى، وبهذا يختلف اختلافاً جوهرياً عن جميع القوانين والشرائع التي يضعها البشر. **وقد ترتب على هذه الميزة أمران مهمان، هما:**

- أنّ مبادئ التشريع القرآني خالية من معاني الجهل والجور والنقص والهوى؛ لأنّ الله تعالى متصف بالكمال والعدل، بخلاف القوانين الوضعية التي تتصف بهذه المعاني؛ لأنّها من طبيعة البشر.

ومثال ذلك: دعوة القرآن للمساواة بين الناس، بغض النظر عن اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، واعتبار أساس التفاضل هو العمل الصالح وما يقدمه الإنسان من خير أو يمتنع عنه من شر؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ الحجرات: ١٣.

- أنّ التشريع القرآني له هيبة واحترام في نفوس المؤمنين به، وله صفة الخضوع والطاعة ممّن اتبعه، بخلاف القوانين الوضعية التي يحرص أتباعها على التفلت منها كلما سنحت لهم الفرصة. ومثال ذلك: استجابة المؤمنين وطاعتهم عندما نزل عليهم تحريم الخمر، بعدما كان العرب مولعين بشربه؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ المائدة: ٩٠.

بينما عجزت أمريكا عن منع شعبها من شربه عندما حاولت ذلك في الفترة ما بين (١٩٣٠-١٩٣٣)، وأنفقت مئات الملايين في سبيل الدعاية لبيان أضراره، وأعدمت ما لا يقل عن مائتي شخص ممّن يتاجرون به، وحبست نصف مليون نسمة، ولكنها لما رأت استحالة تطبيق هذا القانون تراجعت عنه، وسمحت بشرب الخمر.

ثانياً: الجزاء في التشريع القرآني دنيوي وأخروي: انفرد التشريع القرآني بالجزاء الأخروي الذي يزرع رقابة الله في نفس العبد فيخشى من مخالفة أوامر الله احتراماً وتعظيماً له، وخوفاً من عذاب الله الذي ينتظر المخالفين؛ قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ﴾ آل عمران: ٣٠، وهذا أعظم ضمان لمنع النفوس من المخالفة وكفها عن المعصية.

كما أنّ التشريع القرآني فرض عقوبات دنيوية على المخالفين لأحكامه؛ لردعهم وزجرهم.

ثالثاً: التشريعات القرآنية عامة لجميع البشر في كل زمان ومكان؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ سبأ: ٢٨. فالتشريع القرآني رحمة للعالمين، بما فيه من قوانين تحقق المصالح وتدفع المفاسد.

ونظراً لعموم التشريع القرآني وبقائه جاءت أحكامه على قسمين، هما:

- أحكام تفصيلية تتصف بالثبات؛ لأنّها مناسبة لكل زمان ومكان؛ كأحكام العقيدة، والأخلاق، والعبادات، وأحكام الأسرة من زواج وميراث وغير ذلك، وأحكام الحدود والقصاص والجنايات.
- مبادئ وقواعد عامة؛ كأحكام الشورى والمساواة والعدل ودفع الضرر. وهذه تختلف أساليب تطبيقها باختلاف العصور.

رابعاً: شمول التشريع القرآني: من المعلوم أنّ التشريع القرآني شامل لكل جوانب الحياة الإنسانية، فقد جاء القرآن الكريم بأحكام شاملة في نظرتها إلى الخالق والكون والإنسان والحياة.

كما تشمل توجيهات القرآن الكريم القيم الأخلاقية وأحكام العبادات، وتشمل أيضاً تنظيم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في المعاملات والعقوبات، وعلاقة الإنسان بالدولة وواجبات الحاكم ومسؤولياته، وعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول. وهذا الشمول الذي جاءت به الشريعة الإسلامية لا نظير له في القوانين الوضعية.

أمثلة على الإعجاز التشريعي:

١ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ البقرة: ١٧٣: فهذه الآية الكريمة تحرّم أنواعاً معينة من الأطعمة؛ لما فيها من الأضرار البالغة التي أجمع عليها علماء الطب؛ فالميتة والدم تأباهما النفس السليمة، وقد أثبت الطب بعد فترة طويلة من تحريم القرآن للميتة والدم أنّ الميكروبات والمواد الضارة تتجمع في الميتة والدم، وقد يكشف الطب الحديث عن أمور أخرى تسبب الأذى والضرر للناس من تناول الميتة والدم.

ويظهر الإعجاز التشريعي في تحريم أكل لحم الخنزير في عدة أمور، منها:

- الخنزير منفر بذاته للطبع السليم القويم؛ لأنّه يتغذى على الأوساخ والقاذورات.
- اكتشف العلماء أنّ فيه دودة شديدة الخطورة تسمى الدودة الشريطية، قد تصيب مَنْ يأكله.
- الخنزير ينفرد من بين الحيوانات بأنّه لا يغار على عرضه، والكثير من الذين يتناولون لحمه قد يصابون بهذه الآفة.

٢ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠: يظهر الإعجاز التشريعي في الآية القرآنية في:

- الأمر بجوامع الخير، وهي: العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى؛ **فالعدل**: يكفل للناس حقوقهم بعيداً عن الهوى والانحياز لفئة معينة. **والإحسان**: يشمل إتقان العمل ووجوب الإخلاص فيه، وفعل كل خير. **وإيتاء ذي القربى**: يحقق التكافل الاجتماعي والتعاون بين أفراد المجتمع.
- النهي عن جوامع الشر، وهي: الفحشاء، والمنكر، والبغي؛ **فالفحشاء**: هي كل أمر يتجاوز الحد، وأخطرها فاحشة الاعتداء على الأعراض. **والمنكر**: وهو كل أمر أنكرته الشريعة الإسلامية وحرّمته. **والبغي**: وهو الظلم والاعتداء على الناس. ولا يخفى على أحد أنّ هذه الشرور والمفاسد سبب رئيس في انهيار المجتمعات وتفككها.

٣ الآيات القرآنية الواردة بشأن المال، فتارة يُنسب إلى الله؛ قال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ﴾ النور: ٣٣؛ لأنّ الله هو المالك الحقيقي للمال، وهذا يعني أنّ يد الإنسان على المال هي يد أمانة لا يتصرف فيه إلا بأمر الله تعالى. وتارة يُنسب إلى الإنسان؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ المعارج: ٢٤ - ٢٥؛ ليرشده إلى وجوب السعي والعمل وعمارة الكون. وتارة ينسب إلى الجماعة؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾ النساء: ٥، وفي ذلك دلالة على أنّ للجماعة حقاً في المال، وأنّه لا يصح للإنسان أن يتصرف فيه على وجه يضر بالجماعة.

ويظهر أنّ هذه الآيات الكريمة تضمن تحقيق فكرة الاستخلاف في الكون كما أراد الله تعالى، وإيجاد مجتمع مترابط متكافل.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) التشريعات القرآنية جميعها جاءت على وجه التفصيل .

ب ( ) الجزاء في التشريع القرآني دنيوي وأخروي .

جـ ( ) التشريعات الوضعية تتصف بالكمال والعدل .

د ( ) جميع التشريعات القرآنية تتصف بالثبات .

٢ يترتب على كون التشريع القرآني من عند الله أمران، أبينهما .

٣ أمثل على كون التشريع القرآني له هيبة واحترام في نفوس المؤمنين .

٤ أوضح شمولية التشريع القرآني .

٥ أستخرج أوجه الإعجاز التشريعي في قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل : ٩٠ .

الدرس ٩

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم إخباره عن المغيبات، وذلك برهان ساطع ودليل قاطع، على أنّ هذا القرآن ليس من كلام بشر، إنّما هو كلام علام الغيوب، الذي لا تخفى عليه خافية.

ويمكن تقسيم أخبار الغيب في القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الإخبار عن أنباء القرون الماضية:

ويتضمن ذلك أخبار الأمم السابقة، وأخبار الرسل عليهم السلام وما جرى لهم مع أقوامهم، وهي أخبار وقصص قديمة لا يعلم تفاصيلها ودقائق أمورها إلا الله؛ قال تعالى بعد أن ذكر قصة قوم نوح وما جرى له مع قومه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ﴾ هود: ٤٩.

ويعدّ إخبار القرآن الكريم عن قصص الأنبياء والسابقين من أقوى الأدلة على أنّ هذا القرآن من عند الله تعالى، **وذلك للأسباب الآتية:**

١ التفاصيل والأحداث الموجودة في هذه القصص لم يكن الرسول عليه السلام يعلمها لا هو ولا قومه.

٢ لم يعرف عن النبي ﷺ أنّه قرأ التاريخ ولا تلقاه عن أحد.

٣ أنّ هذه القصص في بعض جوانبها مغايرة لما ورد في التوراة والإنجيل.

القسم الثاني: غيب الحاضر:

ويتضمن ذلك إخبار القرآن الكريم عن أمور حدثت في زمن النبي ﷺ لم يكن يعلم بها، منها: كشف حال المنافقين ومخططاتهم، وبيان مؤامرات الأعداء التي كانت تجري في الخفاء. **ومن أمثلة ذلك:**

١ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ التوبة: ١٠٧:

نزلت هذه الآية لبيان الاتفاق الذي حصل بين واحد من زعماء المنافقين وبين الروم على بناء مسجد في المدينة المنورة، واتخاذه مقراً لهم؛ ليكون محلاً لاجتماعهم فيه، وتآمرهم على النبي ﷺ، وترقباً لمجيء جيش من الروم يساعدهم في القضاء على النبي ﷺ وأصحابه.

٢ قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾ النساء: ٥١: وذلك حين ذهب كعب بن الأشرف أحد أحبار اليهود إلى مكة المكرمة يحرض قريشاً بعد بدر على قتال النبي ﷺ، فسأله زعماء مكة: أديننا خير أم دين محمد؟ فقال: بل دينكم. مع أنّهم يعبدون الأصنام ويقدسونها، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بالجبت والطاغوت.

القسم الثالث: غيب المستقبل:

ويتضمن إخبار القرآن الكريم عن أمور تحدث مستقبلاً، ولو لم يكن القرآن من عند الله ما كان محمد ﷺ ليخاطر بالإخبار عن أمور بأنّها ستحدث، فإذا لم تحدث يتبين أنّه مدّعٍ للرسالة وليس رسولاً، ولكن وقع الأمر كما أخبر القرآن الكريم؛ ما يدل على أنّه من عند الله علام الغيوب.

ومن أمثلة ذلك:

١ إخباره عن الحرب التي ستقع بين الروم والفرس، وأنّ الغلبة فيها للروم بعد أن هُزموا في الحرب السابقة؛ قال تعالى: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الروم: ٢-٥، وقد تحقق ما أخبر به القرآن الكريم، فانتصرت الروم على الفرس.

وفي الآية بشارة للمؤمنين أنّهم سينتصرون على المشركين في وقت قريب، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ الروم: ٤ - ٥، وتحقق ما أخبر به القرآن الكريم؛ فانتصر المسلمون على المشركين في غزوة بدر.

قال الزمخشري: (وهذه الآية من الآيات البيّنة الشاهدة على صحة النبوة، وإنّ القرآن من عند الله؛ لأنّها أنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله).

٢ الإخبار عن دخول الرسول ﷺ وأصحابه مكة آمنين مطمئنين، في حين كانت قريش هي المسيطرة عليها وتصد المسلمين عن المسجد الحرام، ولم يكن أحد من المسلمين يتوقع أن يحصل ذلك، ولكن قبل خروج الرسول ﷺ إلى الحديبية في العام السادس للهجرة رأى رؤيا مفادها: أنّه هو وأصحابه قد دخلوا مكة المكرمة آمنين، وأدّوا العمرة. فقصها على المسلمين ففرحوا

واستبشروا، ووقع ذلك فعلاً في العام السابع للهجرة وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح: ٢٧.

٣ الإخبار بإظهار الإسلام على جميع الأديان؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ التوبة: ٣٣.

وقد تحقق هذا الوعد الإلهي فأظهر الله الإسلام على جميع الأديان، ومكّن للمسلمين في الأرض بعد أن كانوا مستضعفين، فدانت لهم جزيرة العرب في حياة النبي ﷺ، ثم استطاع الصحابة الانتصار على الفرس والروم، ولم يمضِ قرن من الزمان حتى اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وامتدت من المحيط الأطلسي غرباً إلى بلاد الصين شرقاً، فتحقق وعد الله وكان وعد الله مفعولاً.

٤ إخبار القرآن الكريم أنّ أبا لهب سيموت كافراً ليكون مصيره إلى النار وبئس القرار؛ قال تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ المسد: ٣، وذلك تقرير قاطع مسبق بأنّ أبا لهب في النار وأنّه لن يهتدي إلى الحق، فكان الأمر كما أخبر القرآن الكريم؛ ما يدل على أنّه من عند الله، ولو لم يكن من عنده فما الذي يحمل محمداً ﷺ على هذه المغامرة؟ وما الذي يحدث لدعوة الإسلام لو آمن أبو لهب ولو ظاهراً، بأن يقول: إنّني مسلم، أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله؟ فكيف تخبر بأنّني في النار، ولكنّ هذا لم يحدث ومات أبو لهب كافراً.

أفكر:

ما نوع الإعجاز الغيبي في قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ القمر: ٤٥.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) يتضمن الإعجاز الغيبي الحديث عن أمور حصلت في الماضي .

ب ( ) من وجوه الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم الكشف عن تآمر المنافقين مع اليهود .

جـ ( ) الإعجاز الغيبي موجود في جميع آيات القرآن الكريم .

د ( ) من أمثلة إخبار القرآن الكريم عن غيب المستقبل قصة نوح عليه السلام مع قومه .

٢ أمثل من القرآن الكريم على الإعجاز الغيبي فيما يأتي :

أ كشف تآمر اليهود مع المشركين

ب إظهار الإسلام على جميع الأديان

جـ بشارة المؤمنين بدخول المسجد الحرام .

٣ إخبار القرآن الكريم بموت أبي لهب على الكفر يعدّ إعجازاً غيبياً . أوضح ذلك .

الدرس
١٠

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (١)

اشتملت آيات القرآن الكريم على الكثير من الحقائق الكونية، والحقائق المتعلقة بخلق الإنسان وتكوينه، وغير ذلك من القضايا العلمية التي اكتشفها العلماء في العصر الحديث.

وقد تحدث العلماء عن هذه القضايا في باب (الإعجاز العلمي)، وهو أحد وجوه الإعجاز بالغة الأهمية في العصر الحاضر. فما هذا الإعجاز؟ وما فائدة البحث فيه؟ وما أهم ضوابطه؟

العلاقة بين القرآن الكريم والعلم:

حث القرآن الكريم على العلم وطلبه؛ قال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ العلق: ١، كما دعا إلى التفكّر والنظر في الكون، واكتشاف ما فيه من كنوز علمية، فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزءاً لا يتجزأ من الواجبات التي أمر بها القرآن، وتطبيق هذا الأمر هو الذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلوم في عصر الحضارة الإسلامية.

ولكنّ هذا لا يعني أنّ القرآن الكريم كتاب علميّ بحت، فالقرآن ليس كتاب فيزياء أو فلك أو كيمياء أو طب أو زراعة، أو غيرها من علوم الاستخلاف الأرضي التي فوضها الله إلى الإنسان، بل هو كتاب هداية وإرشاد؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ الإسراء: ٩. ومن هنا فإنّ المنهج القائم على المبالغة في دراسة الإعجاز العلمي ليس منهجاً صحيحاً، بل لا بد من الاعتدال في ذلك؛ لأنّه ليس من الصواب أن نحمّل القرآن الكريم ما لا يحتمل من قضايا علمية تفصيلية.

القرآن الكريم لا يتناقض مع العلم:

إنّ الذي أنزل القرآن الكريم هو نفسه الذي خلق هذا الكون بما فيه من عجائب وأسرار، ولا يمكن أبداً أن يخلق الله شيئاً، ثم يتحدث عنه في القرآن بشكل يخالف حقيقة ما خلق. وهذا يعني أنّه عندما نفهم الحقيقة الكونية ونفهم الحقيقة القرآنية فهماً صحيحاً فلن نجد تناقضاً بينهما.

ووجود تناقض بين القرآن والعلم يعني أحد أمرين:

الأول: أنّ القضية العلمية محل البحث ليست ثابتة؛ لأنّ العلم يجب أن لا يناقض القرآن.

الثاني: أنّ الآية القرآنية لم تفهم بالطريقة الصحيحة.

معنى الإعجاز العلمي:

هو إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم الحديث، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ. وهذا مما يظهر صدق الرسول محمد ﷺ فيما أخبر به عن ربه عز وجل.

فوائد الإعجاز العلمي:

لمعرفة الإعجاز العلمي في القرآن أهمية كبيرة في هذه الأيام، **ويمكن تلخيص فوائده بما يأتي:**

١ زيادة الإيمان لدى المؤمن؛ فالمؤمن يطمئن قلبه وتزداد ثقته بالقرآن الكريم عندما يكتشف العلماء بعض الحقائق العلمية التي تحدّث عنها القرآن الكريم قبل قرون طويلة.

٢ الإعجاز العلمي وسيلة لتوسيع مدارك المؤمن وزيادة معرفته العلمية، ولكن على أساس إيماني، وليس كما يقدمها لنا الغرب على أساس من الإلحاد، فهم يردون كل شيء للطبيعة، ونحن ينبغي أن نصحح هذه العقيدة فنردّ كل شيء لله القائل: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ الزمر: ٦٢.

٣ إقناع غير المسلمين بصدق القرآن الكريم، وأنّ التوافق بين العلم والقرآن هو دليل وبرهان مادي ملموس في عصر العلم على أنّ القرآن لم يُحرّف، وأنّ الله قد حفظه كما نزل منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة.

٤ الإعجاز العلمي وسيلة للدعوة إلى الله تعالى وتعريف غير المسلمين بهذا الدين الحنيف، وهو الوسيلة المناسبة لأهل عصرنا -عصر العلم والتقنية- الذي فتن الناس فيه بالعلم ومعطياته.

٥ في إثارة قضية الإعجاز العلمي استنهاضٌ لعقول المسلمين، واستثارة للتفكير الإبداعي فيها، من أجل استعادة الاهتمام بالقضايا العلمية التي تخلفت فيها الأمة مؤخراً تخلفاً كبيراً، في الوقت الذي تقدمت فيه الدول الأخرى تقدماً مذهلاً، فأخذت الهوة الفاصلة بيننا وبينهم في مجال العلوم تزداد اتساعاً وعمقاً يوماً بعد يوم، فتزداد معها المخاطر علينا.

ضوابط الإعجاز العلمي:

إنّ الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن يتطلب تحرياً وحرصاً شديداً، وفهماً سليماً للظواهر والنظريات العلمية، بالإضافة إلى فهم سليم لتفسير القرآن الكريم وضوابطه، وذلك قبل أن يربط المرء بين ما توصل إليه العلم الحديث، وما جاء في القرآن الكريم؛ لذلك فقد وضع العلماء مجموعة من الضوابط لا بد من مراعاتها عند تناول مسألة الإعجاز العلمي في القرآن، **أهمها:**

١ الاعتقاد عند البحث في الإعجاز العلمي للقرآن أنّ العلم تابع للقرآن، وليس العكس؛ فالباحث في الإعجاز العلمي ينبغي عليه أن يعطي ثقته لكتاب الله أولاً، ثم يبحث في تجارب البشر عن حقائق علمية تتوافق مع الحقائق القرآنية، ولا يجوز التكلف أو محاولة لَيِّ أعناق الآيات من أجل موافقتها للحقيقة العلمية.

٢ حسن الفهم للنص القرآني وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية وقواعدها، وأساليب التعبير فيها؛ وذلك لأنّ القرآن الكريم قد أُنزل بلسان عربي مبين.

٣ جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد، وردّ بعضها إلى بعض؛ لأنّ القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، كما يفسره الصحيح من أقوال رسول الله ﷺ، ولذلك كان من الواجب توظيف الصحيح من الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بموضوع الآية المتعامل معها كلما توفر ذلك، وذلك لحسن فهم النص القرآني الكريم.

٤ مراعاة السياق القرآني للآية أو الآيات المتعلقة بإحدى القضايا العلمية، دون اجتزاء للنص القرآني عما قبله وعما بعده.

أفكر:

لا يجوز إخضاع المعجزات والأمور الغيبية للتفسير العلمي.

دور المسلمين في الكشف عن الحقائق العلمية:

ما دام القرآن الكريم يحتوي على حقائق علمية، فلماذا لا نكتشفها نحن المسلمين، ونسبق الغرب إليها؟

هذا سؤال قد يتبادر إلى أذهان الكثيرين، ونقول: إنّ السبب هو تقصيرنا وإهمالنا لكتاب الله تعالى وللبحث العلمي. والدليل على ذلك: أنّ المسلمين الأوائل عندما تدبروا القرآن وعملوا بما فيه، واستجابوا للتعاليم الإلهية التي تأمرهم أن يسيروا في الأرض ويفتشوا عن أسرار الخلق، صنعوا أعظم حضارة علمية في التاريخ، وهذا باعتراف الغرب نفسه.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) العلم تابعٌ للقرآن الكريم، وليس العكس .

ب ( ) النص القرآني لا يتعارض مع حقيقة علمية .

جـ ( ) الإعجاز العلمي مهم في تثبيت المؤمنين ودعوة الكافرين .

٢ أبين السبب في كون المسلمين تبعاً للغرب في الكشف عن الحقائق العلمية .

٣ أعلل ما يأتي :

أ من ضوابط الإعجاز العلمي جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد .

ب المنهج القائم على المبالغة في دراسة الإعجاز العلمي ليس منهجاً صحيحاً .

٤ أعرف الإعجاز العلمي .

٥ أذكر ثلاثة من ضوابط الإعجاز العلمي .

الدرس

١١

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢)

اهتم العلماء في الآونة الأخيرة بالكشف عن جوانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ لما لهذا الموضوع من أهمية بارزة في هذا العصر الذي يعد عصر العلم بامتياز. ويأتي البحث في هذا الموضوع انطلاقاً من حديث القرآن الكريم عن بعض الحقائق العلمية التي تم الكشف عن مضامينها في هذا العصر، لا سيما في مجال الفلك وعلم الأجنّة والتشريح والجيولوجيا وعلم الحيوان والنبات، ولا غرابة في ذلك؛ فالقرآن الكريم دعا إلى النظر في هذا الكون ليكون طريقاً للإيمان؛ قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت: ٥٣.

وسنعرض في هذا الدرس لبعض النماذج من الإعجاز العلمي:

■ مكان الأعصاب التي تحس بالحرق أو الإصابة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ٥٦.

كان الناس يعتقدون أنّ الإحساس بالألم يكمن في أيّ مكان من جسد الإنسان، وظل هذا الاعتقاد سائداً حتى اكتشف العلماء أنّ أكثر الأعصاب تتركز في الجلد، واكتشفوا أنّ أعصاب الإحساس متعددة، وأنّها أنواع مختلفة: منها ما يحس باللمس، ومنها ما يحس بالضغط، ومنها ما يحس بالحرارة، ومنها ما يحس بالبرودة، ووجدوا أنّ أعصاب الإحساس بالحرارة والبرودة لا توجد إلا في الجلد فقط. وعليه إذا دخل الكافر النار يوم القيامة، وأكلت النار جلده يبدله الله جلداً آخر؛ ليبقى العذاب مستمراً.

■ ضيق الصدر عند الارتفاع في طبقات الجو العليا:

قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ الأنعام: ١٢٥.

تبين هذه الآية الكريمة أنّ مَنْ أراد الله هدايته يشرح صدره للإسلام فيطمئن به قلبه، وأنّ مَنْ أراد به الضلال -وفق مشيئته- ضاق صدره عن قبول الإيمان وانغلق انغلاقاً تامّاً حتى لا يجد الخير حينئذٍ مسلكًا

إلى قلبه، وقد شبَّه المولى سبحانه ضيق صدر هذا البائس بضيق صدر الذي يتصاعد في السماء بتناقص قدرته على التنفس الطبيعي درجة بعد درجة؛ وذلك لانخفاض الضغط الجزيئي للأوكسجين في طبقات الجو العليا، حتى يصل الضيق إلى أشد مراحله وهو مرحلة الحرج والتي لا يستطيع الأوكسجين بعدها أن ينفذ إلى دمه. وهذه الحقيقة التي أخبر عنها القرآن الكريم لم تكن معلومة للبشر وقت التنزيل، واكتشفها العلماء في العصر الحديث.

استمرار الكون في الاتساع:

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ الذاريات: ٤٧.

تشير الآية الكريمة إلى حالة اتساع مستمر في الكون لا يتوقف، وهذه حالة لم يعرفها الناس حتى كشف عنها العلم المعاصر، فقد اكتشف العلماء أنّ للكون ميْلاً طبيعياً للتوسع؛ فنصف قُطر الفضاء اليوم لا يقل عن عشرة أضعاف نصف قُطره الأصلي، ومعدل التوسع الفعلي يزداد بصورة مستمرة، ومعدل الازدياد هذا سوف يكبر في المستقبل.

الفرق بين ضوء الشمس ونور القمر:

قال تعال: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ الفرقان: ٦١.

أشارت هذه الآية إلى التفريق بين ضوء الشمس ونور القمر؛ فالشمس هي مصدر الضوء، أما النور الصادر عن القمر فهو ليس ذاتياً، بل انعكاسٌ لأشعة الشمس. وهذا ما اكتشفه العلماء حديثاً، بعد اكتشاف المناظير وإجراء الدراسات الضوئية على النجوم والكواكب خلال القرون القليلة الماضية. فالشمس -كما قال العلماء- جسم سماوي متلألئ يشعّ الطاقة ذاتياً، بينما القمر جسم سماوي ثابت الإضاءة يعكس الأشعة التي يتلقاها من الشمس. فمن أخبر محمداً ﷺ بهذه الحقائق؟ إنّه الله جل في علاه.

مراحل تخلّق الجنين:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ المؤمنون: ١٢ - ١٤.

تتحدث الآيات السابقة عن مرحلة التخلق الأولى للجنين، وتبين أنّ الجنين في نموه وتطوره يمر في مراحل، **وقد أطلق القرآن الكريم على كل مرحلة ما يناسبها من المصطلحات، على النحو الآتي:**

(النطفة، العلقة، المضغة، العظام، تغطية العظام باللحم، الإنشاء)، ويظهر الإعجاز العلمي هنا في المصطلحات الواردة في القرآن الكريم؛ وذلك لأنّها تعبِّر بدقة عن التطورات التي تقع في مختلف مراحل التخلق، فهي تصف هذه الأحداث حسب تسلسلها الزمني، كما تصف التغيرات التي تطرأ على هيئة الجنين مع التخلق في كل مرحلة وصفاً دقيقاً. وما كان في وسع رسول الله ﷺ أن يعرف هذه الحقائق في القرن السابع الميلادي؛ لأنّ معظمها لم يكتشف إلا في القرن العشرين، وهذا يشهد بأنّها وحي من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم ﷺ.

اهتزازات التربة:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فصلت: ٣٩.

أثبت علماء النبات أنّ ماء المطر إذا نزل على التربة أحدث لها اهتزازات، فالتربة تتكون من حبيبات صغيرة على شكل صفائح من المعادن المختلفة بعضها فوق بعض، فإذا نزل المطر تكونت شحنات كهربائية مختلفة بين الحبيبات بسبب اختلاف هذه المعادن، فتهتز الحبيبات بهذه الشحنات، وهذا الاهتزاز له فائدة عظيمة؛ لأنّه يترك مجالاً لدخول الماء بين الصفائح، فإذا دخل الماء أصبحت عبارة عن خزان يحفظ الماء داخل التربة، فيستمد النبات الماء من هذا الخزان، وإلا لكان الماء يغور في التراب، ويموت النبات في فترة وجيزة.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) يعد الكشف عن الإعجاز العلمي في القرآن أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الإسلام .

ب ( ) نماذج الإعجاز العلمي متجددة بحسب الاكتشافات الحديثة .

جـ ( ) يفهم من القرآن الكريم أنّ الأوكسجين يزداد كلما ارتفعنا إلى الأعلى .

د ( ) يدلّ القرآن الكريم على أنّ القمر هو مصدر ذاتي للضوء .

٢ أبين الإعجاز العلمي في قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ ﴾ الأنعام: ١٢٥ .

٣ أذكر مثالاً على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وأشرحه شرحاً وافياً .

٤ أبين الفرق بين دور كل من الشمس والقمر في الضوء كما يفهم من آيات القرآن الكريم

٥ أوضح الإعجاز العلمي في حديث القرآن الكريم عن مراحل تخلّق الجنين .

الوحـــدة

٣

الأمثال والقَسَم في القرآن الكريم

الدرس
١٢

الأمثال في القرآن الكريم

الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب حسن يقربها إلى الأفهام؛ وذلك بإظهار هذه المعاني بصورة محسوسة، والتمثيل هو القالب الذي يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان؛ وذلك مثل تشبيه الغائب بالحاضر، والمعقول بالمحسوس. وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالاً، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له، واقتناع العقل به، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه.

ولأهمية الأمثال في القرآن الكريم أفردها بعض العلماء بالتأليف والتصنيف؛ كأبي الحسن الماوردي، وابن قيم الجوزية.

تعريف الأمثال:

الأمثال: جمع مثل، **وهو في اللغة**: الشَبَه.

وفي الاصطلاح: أسلوب في الخطاب يقوم على إبراز المعنى المعقول بصورة حسية تزيده وضوحاً وجمالاً؛ وذلك بتشبيه حال وقعت في الحاضر بحال وقعت في الماضي؛ كقولهم: (رُبّ رمية من غير رامٍ).

صور الأمثال في القرآن الكريم:

للأمثال في القرآن الكريم صور عديدة، منها:

١ يأتي المثل في القرآن الكريم على صورة تشبيه ضمني غير صريح؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾ الحجرات: ١٢. فالآية الكريمة شبهت حال المغتاب بحال مَنْ يأكل لحم أخيه ميتاً؛ وذلك للتنفير من الغيبة.

٢ يرد المثل في القرآن الكريم خالياً من التشبيه والاستعارة؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الحج: ٧٣. ضرب الله تعالى مثلاً للذي يعبد آلهة أخرى مع الله تعالى بالذي سلبه الذباب شيئاً ولم يستطع إرجاعه؛ وذلك لبيان عجز ما يعبد من دونه تعالى.

٣ ويأتي المثل في القرآن الكريم على صورة قصة؛ كقوله تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴾ الكهف: ٣٢.

أنواع الأمثال في القرآن الكريم:

الأمثال في القرآن الكريم ثلاثة أنواع:

- الأمثال الصريحة.
- الأمثال الكامنة.
- الأمثال المرسلة.

النوع الأول: الأمثال الصريحة:

وهي ما صُرّح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه. وهي كثيرة في القرآن الكريم، ومنها: قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤١.

جاء هذا المثل في هذه الآية الكريمة صريحاً؛ وذلك بتشبيه حال الذين اتخذوا أولياء من دون الله بحال بيت العنكبوت في وهنه وضعفه.

النوع الثاني: الأمثال الكامنة:

وهي التي لم يُصرّح فيها بلفظ المثل، ولكنّها تضمنت معنى المثل بإيجاز، ويكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها؛ كقوله تعالى في النفقة: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ الفرقان: ٦٧، وقوله تعالى في الصلاة: ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾ الإسراء: ١١٠. فالآيتان تضمنتا معنى قولهم: (خير الأمور أوسطها).

النوع الثالث: الأمثال المرسلة:

وهي جمل أرسلت إرسالاً فصارت مثلاً بلفظها وصيغتها؛ كقوله تعالى: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ﴾ يوسف: ٥١، فالآية الكريمة وردت بخصوص براءة يوسف عليه السلام ممّا اتُّهم به، ثم صارت تستخدم بنصها لكل حالة مماثلة.

فوائد الأمثال:

بالنظر والتدبر في الأمثال الواردة في القرآن الكريم نجد أنّها جاءت لتقريب الشيء المراد للعقل وتصويره

بصورة محسوسة؛ قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ إبراهيم: ٤٥، فامتنّ الله تعالى علينا بضرب الأمثال؛ لما تضمنته من الفوائد والحكم الجليلة، منها:

١ الترغيب في الأمر المطلوب؛ كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦١. فقد ضرب الله تعالى مثلاً لحال المنفق في سبيل الله بالحبة التي أنبتت سبع سنابل، وفي كل سنبلة مئة حبة؛ وفي ذلك ترغيب في الإنفاق في سبيل الله.

٢ التنفير من المعاصي؛ كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الجمعة: ٥. فقد شبه الله تعالى الذي يحمل العلم ولا يعمل به بالحمار الذي يحمل أسفاراً ولا ينتفع بها.

٣ مدح مَنْ ضُرِب به المثل؛ كقوله تعالى في مدح الصحابة رضي الله عنهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ الفتح: ٢٩.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) تشبيه الغائب بالحاضر، والمعقول بالمحسوس من أساليب القرآن الكريم.

ب ( ) المثل هو إبراز الشيء المعنوي في صورة عقلية.

جـ ( ) يطلق المثل في القرآن الكريم على الحال والقصة العجيبة.

د ( ) الأمثال الكامنة في القرآن الكريم هي التي يصرح فيها بلفظ المثل.

٢ أذكر صورتين للأمثال في القرآن الكريم، وأشرح واحدة منها.

٣ أعرف الأمثال المرسلة، وأذكر مثالاً واحداً عليها.

٤ أذكر ثلاث فوائد لضرب المثل في القرآن الكريم.

٥ أعرف الأمثال الصريحة، وأذكر مثالاً واحداً عليها.

الدرس
١٣

القَسَم في القرآن الكريم

اهتم العلماء الذين ألفوا في علوم القرآن بموضوع القَسَم، ووضعوا فيه كتباً خاصة تناولوا فيها الآيات التي ورد فيها القَسَم في القرآن الكريم، ومن أبرز هؤلاء: العلامة ابن القيم في كتابه: (التبيان في أقسام القرآن).

وفي هذا الدرس سنتعرف إلى معنى القسم، وأركانه، وأهدافه في القرآن الكريم.

معنى القَسَم:

- **القَسَم**: بمعنى الحلف واليمين. وسمي الحلف يميناً؛ لأنّ العرب كانوا إذا تحالفوا ضرب كلّ امرئ منهم بيمينه على يمين صاحبه.
- **والقَسَم**: أسلوبٌ من أساليب التوكيد، فهو يستخدم من أجل توكيد الخبر وتحقيقه، خاصة إذا كان المخاطَب شاكّاً في الخبر أو مُنكِراً له. فالاستعداد النفسي في تقبل الحق والانقياد له يختلف من شخص لآخر، فالنفس الصافية تستجيب للهدى، ويكفيها لذلك اللمحة والإشارة، أما النفس التي غشيتها ظلمة الباطل، فلا بد معها من استخدام صيغ التأكيد، وفي مقدمتها القَسَم.

صيغة القَسَم:

الصيغة الأصلية للقَسَم أنْ يُؤتى بالفعل (أُقسمُ) أو (أَحلفُ) متعدياً بالباء إلى المقسَم به؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ النحل: ٣٨، ولما كان القسم يكثر في الكلام اختُصر فصار فعل القسم يحذف ويكتفى بالباء، ثم عوض عن الباء بالواو؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ الليل: ١، وبالتاء في لفظ الجلالة؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ الأنبياء: ٥٧.

أغراض القَسَم في القرآن الكريم:

ورد القَسَم في القرآن الكريم لأغراض مختلفة، أهمها:

١ تأكيد الخبر وتقريره، وتلك عادة العرب الذين كانوا يقطعون كلامهم بالقسم؛ لأنّ القصد من القَسَم تحقيق الخبر وتوكيده. وهذا الغرض يظهر لنا إذا علمنا أنّ المقسم عليه كثيراً ما يكون من

الأمور الخفية الغائبة، فيقسم عليها لإثباتها؛ مثل قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ القيامة: ١ - ٤، والمعنى: أنّ الله تعالى يقسم بيوم القيامة تأكيداً على وقوعه.

٢ لفت الأنظار إلى الكون وما يحويه من أسرار عجيبة، وما فيه من نظام بديع محكم؛ ليكون ذلك دافعاً مهماً إلى الإيمان بالله عز وجل، من خلال التفكّر في عظمة مخلوقاته؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ الليل: ١ - ٤. فقد أقسم سبحانه بالليل والنهار، وما فيهما من نظام دقيق لا يتخلف؛ وذلك للفت النظر إلى عظمة الله تعالى وقدرته.

٣ إثبات صدق الرسول ﷺ؛ إذ كانت العرب تعتقد أنّ الأيمان الكاذبة تضر صاحبها، ومع قسمه ﷺ لم يصب بسوء ما، بل ارتفع شأنه وعلا ذكره ﷺ، فكان دليلاً على صدقه؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ سبأ: ٣.

٤ إبراز المعقول في صورة المحسوس؛ وذلك أنّ الأمر المعقول إذا صُوِّر في شيء حسي، فإنّ العقل يستوعبه بصورة أكبر، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ التكوير: ١٧ - ١٩، فقد أقسم الله تعالى بالليل والصبح وصورهما في صورة محسوسة مشاهدة.

٥ الإشارة إلى أحداث بارزة في تاريخ البشرية، من خلال القسم بالأمكنة، ومثال ذلك:

- القسم بالطور في قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾ الطور: ١ - ٢، ففي هذا القسم إشارة إلى جبل الطور الذي كلّم الله فيه موسى عليه السلام وأبلغه رسالته.
- القسم بالبلد الأمين في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾ التين: ١ - ٢، ففي هذا القسم إشارة إلى مكة المكرمة التي بني فيها أول بيت لعبادة الله تعالى، وهي التي انبعث منها نور الإسلام الذي بدّد ظلمات الجهل والضلال، ثم شعّ في آفاق الدنيا وملأ جنباتها.

أركان القسم:

للقسم أركان أربعة هي:

١ **المُقْسِم**: وهو إمّا الله تعالى، وإمّا العباد، فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب، ومن عادتهم القَسَم إن أرادوا أن يؤكدوا أمراً؛ فالقسم ضرب من البيان ألفه العرب؛ ليوثقوا به أنباءهم، ويبينوا أنّه كثيراً ما يجيء للاستشهاد والاستدلال على صدق المقال. فهو -إذن- نوع من الدليل الواقعي

المحسوس الذي يستميل المشاعر والوجدان، ويثير الانتباه والتفكير.

فقد ورد عن أحد الأعراب أنّه لما سمع قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ الذاريات: ٢٢ - ٢٣، صرخ وقال: «من ذا الذي أغضب الجليل حتى ألجأه لليمين».

٢ **المُقْسَم به**: كالقسم بالكون وما فيه؛ للدلالة على عظمة الله وقدرته، وتوجه الأنظار إلى التفكر والتدبر. والقَسَم بما خلق الله تعالى في الأرض؛ كالتين والزيتون والبحار للدلالة على ما فيها من فوائد ومنافع للناس.

٣ **جواب القَسَم أو المُقسَم عليه**: الغالب في المُقسَم عليه أن يكون في الكلام؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ العصر: ١ - ٢، فقد أقسم بالزمن للدلالة على قيمة الزمن وأهميته في حياة الإنسان، وجواب القسم مذكور في الكلام، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ العصر: ٢.

وقد يُحذف جواب القَسَم إذا كان في السياق ما يدل عليه؛ لأنّ حذفه في هذه الحالة أبلغ وأوجز؛ كما في قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ ص: ١، فإنّ في المُقسَم به من تعظيم القرآن، ووصفه بأنّه ذو الشرف والقدر ما يدل على المُقسَم عليه، وهو كونه حقاً من عند الله غير مفترى. وتقدير الجواب: إنّ الفرقان لحقّ.

٤ **أدوات القَسَم**: وأدوات القسم التي وردت في القرآن الكريم هي: (الباء، والواو، والتاء). والباء هي الأصل في أدوات القسم؛ قال تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۖ﴾ الأنعام: ١٠٩، وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ الشمس: ١ - ٣، وقال تعالى: ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ﴾ الصافات: ٥٦.

أنواع القَسَم في القرآن الكريم:

في القرآن الكريم الكثير من الأقسام، ولا يعنينا هنا ما ورد في القرآن الكريم من أقسام جاءت على لسان بعض الناس؛ كالمنافقين واليهود وغيرهم؛ كقوله تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ﴾ التوبة: ٦، لكنّ الذي يعنينا هنا ما أقسم به الله تعالى، **وبالنظر فيما أقسم الله تعالى به في القرآن الكريم يظهر أنّ ذلك جاء على نوعين، هما:**

١ **إقسامه تعالى بذاته وصفاته**: أقسم الله تعالى بذاته وصفاته في القرآن الكريم؛ للدلالة على تعظيم المُقسَم عليه وأنّه حق لا مرية فيه، كما يتضح من الأمثلة الآتية:

- قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ ﴾ المعارج: ٤٠: فإضافة لفظ الرب في القَسَم إلى المشارق والمغارب تدل على القدرة البالغة في تسخير الشمس، بحيث تشرق وتغرب بانتظام ودقة وإحكام.
- قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ مريم: ٦٨: فالقسم بلفظ الرب مضافاً إلى الرسول ﷺ بيانٌ لعظمة الرسول الكريم، وما خصه الله به من فضل ومنزلة، وما أكرمه به من صلات وعطايا ومعجزات، وما هيّأه له من خير في الدنيا والآخرة؛ ليعلمنا كيف نعظمه، ونستجيب له، ونحافظ على ما أمرنا به وما نهانا عنه.

٢ **القَسَم بمخلوقات الله تعالى**: إذا استقصينا القَسَم بمخلوقات الله تعالى في القرآن الكريم نجده تعالى يقسم على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها، ومن أمثلة ذلك:

- القسم على وحدانية الله تعالى؛ كقوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ﴾ الصافات: ١ - ٤، فقد أقسم القرآن الكريم بالصافات -وهي الملائكة- على وحدانية الله تعالى.
- القَسَم على أنّ القرآن حق؛ كقوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾ الواقعة: ٧٥ - ٧٧، فقد أقسم الله تعالى بمواقع النجوم، وأشار إلى عظمة هذا القسم، على أنّ القرآن حقٌّ من عند الله تعالى.
- القَسَم على أنّ الرسول حقّ؛ كقوله تعالى: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ يس: ١ - ٣، فقد أقسم الله تعالى بالقرآن الحكيم على أنّ محمداً ﷺ صادق فيما يبلّغ عن ربه.

حكمة القَسَم بمخلوقات الله تعالى:

قد يتساءل البعض: لماذا أقسم سبحانه بهذه المخلوقات دون غيرها؟ **والجواب: أنّنا إذا تأملنا في المخلوقات المُقسَم بها في القرآن الكريم، نجد أنّه تعالى أقسم بها لحِكَم عظيمة، منها:**

- أن تكون ممّا أنكره بعض الناس؛ فيقسم الله بها لتقرير وجودها في عقل من أنكرها؛ كالقسم بالملائكة؛ للدلالة على حقيقة وجودها.
- أن تكون ممّا لم يستعظمه بعض الناس؛ فيقسم الله بها لتعظيم شأنها في نفوسهم؛ كالقسم بالقرآن الكريم؛ للدلالة على عظيم شأنه وعلو منزلته.
- أن تكون ممّا جهل بعض الناس حكمة الله في خلقه؛ فيقسم الله بها لتنبيه الشعور على ما فيها من حكمة وعظة؛ كالقسم بمواقع النجوم؛ للتنبيه على حكمة الله في خلقها.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) أقسم الله تعالى في القرآن الكريم بذاته ومخلوقاته .

ب ( ) الواو هي الأصل في أدوات القسم .

جـ ( ) القَسَم أسلوب من أساليب توكيد الكلام .

د ( ) من أغراض القَسَم إبراز المعقول في صورة المحسوس .

٢ أعلل ما يأتي :

- تسمية الحلف باليمين .
- حذف جواب القَسَم إذا كان في السياق ما يدل عليه .

٣ أبين مثالين يستدل من خلالهما على أنّ القسم في القرآن الكريم بمخلوقات الله تعالى جاء على أصول الإيمان .

٤ من أغراض القَسَم إثبات صدق الرسول ﷺ، أوضح ذلك .

٥ أذكر ثلاثة حِكَم للقَسَم بمخلوقات الله تعالى في القرآن الكريم .

الدرس

١٤

بلاغة القَسَم في القرآن الكريم

أسلوب القَسَم في القرآن الكريم من الأساليب البليغة الفصيحة، وهو أسلوب عرفه العرب قديماً، وهو في اللغة العربية من المؤكدات المشهورة التي تمكّن الشيء في النفس وتقويه، وهو طريق من طرق توكيد الكلام، وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلم. وفي هذا الدرس سنتعرف على بلاغة القسم في القرآن الكريم.

البلاغة في التناسب بين القَسَم وجوابه:

تظهر بلاغة القَسَم في القرآن الكريم على وجه الخصوص في التناسب والعلاقة القوية بين القسم وجوابه، والأمثلة الآتية توضح ذلك:

١ **القَسَم في سورة الضحى؛** قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ الضحى: ١ - ٣.

سبب نزول هذه السورة تأخُّر نزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم، حتى قال بعض المشركين: «يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك»[1]. وهذا السبب يوضح العلاقة بين القسم وجوابه، فقد أقسم الله تعالى في هذه السورة بالضحى، وبالليل إذا سجى. والضحى: هو وقت ارتفاع الشمس وانتشارها في الأفق، وسجى الليل: سكن، ويقصد به وقت سكون الليل وهدوئه. فقد أقسم بهما سبحانه وتعالى، لأن الناس يشهدون تألق الضحى في النهار، ثم يشهدون من بعده فتور الليل إذا سجى وسكن، يشهدون الحالتين معاً في اليوم الواحد، وكذلك الوحي الذي تجلى نوره على المصطفى ﷺ، فإن انقطاعه لن يكون دائماً، بل لفترة قصيرة شبيهة بفترة سكون الليل وهدوئه التي لا تمتد لفترة طويلة.

٢ **القسم في سورة الفجر.** قال تعالى: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ الفجر: ١ - ٤.

نزلت هذه السورة إبان احتدام المعركة بين الحق والباطل، في الوقت الذي كانت قريش تحاول

١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الضحى.

فيه استئصال شأفة المسلمين، فكان في تلك السورة الكريمة بشارة للمسلمين بنصر الله، وتهديد للمشركين بالعذاب والعقوبة، فأقسم سبحانه بالفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر. والفجر: هو ظهور الضوء عند انشقاق ظلمة الليل، وهو الوقت الذي ينتشر فيه النور، وفي ذلك من الأُنس والراحة ما تطمئن به النفوس وتستريح له الأفئدة.

وهذا القَسَم فيه كفاية للعقلاء الذين يتفكرون في هذا الكون الذي يتعاقب فيه الليل والنهار، والظلمة والنور، وكذلك شأن الحق مع الباطل. فالباطل مهما علا واستكبر لن يدوم، وسيعقبه انتصار الحق، كما يجلو ضوء النهار ظلمة الليل. وجواب القسم محذوف دلّ عليه السياق، والتقدير: أي لينصرنّ الله دينه، وليظهرنه مشرقاً كما شق الفجر ظلمة الليل.

وجوه البلاغة في أسلوب القَسَم:

نلخص فيما يأتي أهم وجوه البلاغة في أسلوب القَسَم في القرآن الكريم:

٣ **الإيجاز**: يمتاز أسلوب القَسَم القرآني بالإيجاز، ويظهر ذلك من خلال التدبر في كل الآيات القرآنية التي ورد فيها القسم.

٤ **الجمع بين القَسَم والوصف**: قد يجمع القرآن الكريم بين القَسَم والوصف؛ كالقسم بالقرآن المجيد؛ قال تعالى: ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ ق: ١، فقد أقسم الله تعالى بالقرآن ووصفه بأنه مجيد؛ وذلك ليكون الاستدلال أعظم في النفس وأوقع.

٥ **الجمع بين الأدلة**: من مزايا القَسَم في القرآن الكريم أنّه يسهل الجمع بين عدة أدلة في جملة واحدة، أو في جمل متلاحقة، كما في سور: التين، والبلد، والطور، والشمس، والليل، والفجر، مع الإيجاز، ولو أنّ الأدلة فصّلت وبُسِط فيها القول، لفقد الكلام روعته وتأثيره.

٦ **إشراك السامع في استنباط الدليل**: من وجوه البلاغة في القَسَم القرآني أنّه يشرك السامع في استنباط الدليل بنفسه، وهذا يخفف من عناده وخصومته، فيتوهم أنّه هو الذي اهتدى إلى الحق بنفسه؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ الذاريات: ٤٧، إلى قوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ الذاريات: ٥٠، فالآية تلفت النظر إلى أنّ الله تعالى وضع نظاماً دقيقاً لهذا الكون، وتدعو الإنسان إلى التفكر في هذا النظام الدقيق، حتى يصل من خلال تفكيره إلى الهدى والحق، فيشعر أنّه اهتدى إلى الحق بنفسه.

صيغة القَسَم المبدوء بأداة النفي:

الناظر في آيات القرآن الكريم يجد أنّ بعض صيغ القَسَم بدأت بأداة النفي، ومن الأمثلة على ذلك:

- قال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ القيامة: ١ - ٢.
- قال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ البلد: ١ - ٢.

فما معنى القَسَم في هذه الأمثلة؟

ذكر العلماء في ذلك عدة آراء، أهمها:

١ أنّ (لا) لنفي القَسَم، فكأن الله تعالى يريد أن يقول: لا أقسم بهذه الأشياء، فهي أعظم وأجل من أن يُقسم بها، فثبوت وقوعها ظاهر بحيث لا يحتاج إلى قسم.

٢ أنّ (لا) زائدة، والمعنى: أقسمُ. وفائدتها توكيد القسم. والصحيح هو عدم القول بوجود حروف زائدة في القرآن الكريم، فإنّ لكل حرف معناه وأهميته.

٣ أنّها صيغة من صيغ القسم، وأصلها: لأُقسم، أشبعت فتحة اللام فظهرت الألف. وهذا هو الرأي الراجح لوجود قراءة متواترة تدل عليه وهي قراءة (لأُقسم بيوم القيامة) بالهمزة؛ أي لأنا أقسم بيوم القيامة.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) القَسَم ضرب من ضروب الأسلوب الإنشائي.

ب ( ) القَسَم في سورة الفجر منسجم مع انتصار الحق على الباطل.

جـ ( ) يمتاز أسلوب القَسَم في القرآن الكريم بالإطناب.

د ( ) من مزايا القَسَم في القرآن الكريم الجمع بين عدة أدلة في جملة واحدة أو في جمل متلاحقة.

٢ أوضح العلاقة بين القَسَم وجوابه في سورة الضحى.

٣ أذكر آراء العلماء في صيغة القَسَم القرآني المبدوء بالنفي، وأبين الراجح منها.

٤ من وجوه البلاغة في أسلوب القَسَم في القرآن الكريم إشراك السامع في استنباط الدليل، أوضح ذلك.

٥ أمثل على أهمية الجمع بين القَسَم والوصف في القرآن الكريم، مبيناً أهمية ذلك.

الدرس
١٥

أسلوب الشرط في القرآن الكريم

تعددت أساليب الخطاب في القرآن الكريم نظراً لاختلاف حال المخاطبين من جهة وتنوع الموضوعات من جهة أخرى، ومن هذه الأساليب أسلوب الشرط، **فما أسلوب الشرط؟ وما أركانه؟ وما أدواته؟**

تعريف أسلوب الشرط:

أسلوب الشرط: هو أحد أساليب الخطاب التي تقوم على ارتباط بين فعلين يتوقف حصول الفعل الثاني على تحقق الفعل الأول.

أركان الشرط:

يقوم أسلوب الشرط على ثلاثة أركان هي:

- أداة الشرط: وهي التي تربط بين فعل الشرط وجوابه.
- جملة الشرط.
- جملة جواب الشرط، وتسمّى جواباً أو جزاءً؛ لأنّها تتوقف على حدوث فعل الشرط، فهي مرتبة عليه ومرتبطة به.

ومن أمثلة الآيات القرآنية التي ورد فيها الشرط ما يأتي:

١ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ الطلاق: ٢: فهذه الآية تربط وجود المخرج للمسلم، بشرط وجود التقوى لله في قلبه؛ فالفعل (يتقِ): فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو فعل الشرط. والفعل (يجعل): فعل مضارع مجزوم، وهو جواب الشرط، وعلامة جزمه السكون. و(مَنْ): أداة الشرط الرابطة بين الفعل والجواب.

٢ قال تعالى: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ﴾ البقرة: ١٩١: فالأمر بقتال المشركين عند المسجد الحرام بقوله: (فاقتلوهم)، مرتبط ومتوقف على شرط قتالهم للمسلمين. فقاتَلوا: فعل الشرط. واقتلوهم: جواب الشرط. إنْ: أداة الشرط الرابطة بين الفعل والجواب.

أدوات الشرط:

تقسم أدوات الشرط إلى قسمين، هما:

أولاً: **أدوات الشرط الجازمة**، وهي: (إنْ، مَنْ، ما، مهما، متى، أينما، أنّى)، وكلها أسماء شرط ما عدا (إنْ) فهي حرف شرط. وهذه الأدوات جميعها تجزم فعلين: الأول فعل الشرط، والثاني جواب الشرط.

أمثلة توضيحية:

١ قد يكون فعل الشرط والجواب فعلين مضارعين؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ البقرة: ١٩٧.

تفعلوا: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنّه من الأفعال الخمسة، وهو فعل الشرط.

يعلم: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون، وهو جواب الشرط.

ما: أداة الشرط الرابطة بين الفعل والجواب.

٢ وقد يكون فعل الشرط والجواب ماضيين؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ الإسراء: ٨، والغرض من الإتيان بفعل الشرط ماضياً هو إنزال الأمر غير المتيقن منزلة المتيقن.

٣ قد يكون فعل الشرط ماضياً وجوابه مضارعاً؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح: ١٠. فقد ورد في الآية فعلا شرط وجوابهما:

الأول: هو (نكث): وهو فعل ماضٍ مبني على الفتح في محل جزم فعل شرط، وجملة (ينكث): في محل جزم جواب الشرط.

والثاني: هو (أوفى): فعل ماضٍ مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، وجملة (فسيؤتيه أجراً): في محل جزم جواب الشرط.

مَنْ: أداة الشرط الرابطة بين الفعل والجواب في الجملتين.

ثانياً: **أدوات الشرط غير الجازمة**. وهي: (لو، لولا، إذا، كلما، لوما). **والفرق بين (لو) و(لولا) هو:**

١ (لو): أداة امتناع لامتناع؛ أي امتناع جواب الشرط لامتناع فعل الشرط؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ التوبة: ٤٦، والمعنى: امتنع إعدادهم للعدة لعدم وجود إرادة عندهم للقتال بسبب نفاقهم.

٢ (لولا): أداة امتناع لوجود؛ أي امتناع جواب الشرط لوجود فعل الشرط؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ النور: ٢١. والمعنى: أنّ وجود فضل الله تعالى ورحمته، هو الذي منع الكثيرين منكم من التلفظ بخبر الإفك، كباقي المنافقين الذين افتروا الكذب على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

اقتران جواب الشرط بالفاء:

يجب اقتران جواب الشرط بالفاء في الحالات الآتية:

١ أن يكون جواب الشرط جملة اسمية؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٣٤.

٢ أن يكون جواب الشرط جملة فعلية فعلها طلبي (أمر أو نهي)؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ النور: ٦٢.

٣ أن يكون جواب الشرط جملة فعلية فعلها جامد (ليس، عسى، نعم)؛ قال تعالى: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ الكهف: ٣٩ - ٤٠.

٤ أن يكون جواب الشرط جملة فعلية مصدّرة بنفي (ما، لن)؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٣٢.

٥ أن يكون جواب الشرط جملة فعلية مصدّرة بـ(قد)؛ قال تعالى: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ المائدة: ١١٦.

٦ أن يكون جواب الشرط جملة فعلية مصدّرة بـ(السين أو سوف)؛ قال تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ المائدة: ٥٤.

بعض معاني أدوات الشرط:

تفيد أدوات الشرط معاني مختلفة، وهي كالآتي:

١ إنْ: تفيد معنى محتملاً، أو مشكوكاً فيه، أو مستبعد الوقوع؛ قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ المائدة: ٦. والجنابة معنى محتمل، وقال تعالى: ﴿ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ الأعراف: ١٤٣، وهذا معنى مشكوك فيه.

٢ إذا: الأصل فيها إفادة معنى مقطوع بحصوله، أو كثير الوقوع؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ المائدة: ٢، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ التوبة: ٥.

٣ **أينما**: تفيد الظرفية المكانية؛ قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ النساء: ٧٨.

٤ **حيثما**: اسم مكان مبهم؛ قال تعالى: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ البقرة: ١٤٤.

حذف جواب الشرط:

يحذف جواب الشرط وجوباً إذا تضمن ما يدل عليه؛ كقوله تعالى: ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ البقرة: ١٧٢، والمعنى: إن كنتم تعبدون الله فاشكروه؛ فحذف الجواب لوجود ما يدل عليه، وهو (اشكروا).

والحذف أحياناً يفيد التأثير على النفس بتهويل الموقف؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ الأنعام: ٢٧، والجواب محذوف تقديره: لرأوا أمراً فظيعاً.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) لا يكون فعل الشرط وجوابه إلا فعلين مضارعين .

ب ( ) «لو» أداة امتناع لوجود .

جـ ( ) إذا في الأصل تفيد معنى مشكوكاً في حصوله .

د ( ) يحذف جواب الشرط وجوباً إذا تضمن ما يدل عليه

٢ أقرأ الآيات الآتية، وأستخرج منها أداة الشرط، وفعل الشرط، وجوابه :

أ قال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ ﴾ النحل : ٧٦ .

ب قال تعالى : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ ﴾ البقرة : ١١٠ .

جـ قال تعالى : ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ الجن : ٩ .

د قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ آل عمران : ١٥٩ .

هـ قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ ﴾ البقرة : ٢٨٢ .

و قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ ﴾ المائدة : ٦ .

٣ أبين سبب اقتران الفاء بجواب الشرط في الآيات الآتية :

أ قال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ ﴾ يوسف : ٢٧ .

ب قال تعالى : ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ البقرة : ٢٣٤ .

جـ قال تعالى : ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ المائدة : ٥٤ .

٤ أعرف أسلوب الشرط، وأبين أركانه .

الدرس
١٦

الشرط والقَسَم في القرآن الكريم

يتفق أسلوب الشرط والقَسَم في جوانب محددة ويختلفان في بعض الجوانب، فما العلاقة بين القَسَم والشرط؟ وما أوجه الاختلاف بينهما؟ وماذا يترتب على كل منهما؟

العلاقة بين القَسَم والشرط:

يمكن إبراز العلاقة بين الشرط والقَسَم في الأمرين الآتيين:

١ يتفق القَسَم والشرط في أنّ كلاً منهما له أركان؛ فأسلوب القَسَم يقوم على: أداة القَسَم، والمُقسَم به، والمُقسَم عليه. وكذلك الشرط يقوم على: أداة الشرط، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط. وهذا يعني أنّ لكل من جملة الشرط والقَسَم جواب. ولتوضيح ذلك نتأمل الآيتين الكريمتين الآتيتين:

قال تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ الأنبياء: ٥٧، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ الأنفال: ٢.

في الآية الأولى: جملة (لأكيدنَّ) هي جمله جواب القَسَم.

وفي الآية الثانية: جملة (زادتهم) هي جملة جواب الشرط.

٢ قد يجتمع القَسَم والشرط في جملة واحدة، وفي هذه الحالة يكون الجواب للسابق منهما، فإن كان المتقدم هو القَسَم كانت جملة الجواب للقسم، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ مريم: ٤٦، فالتقدير: والله لئن لم تنتهِ لأرجمنّك. فاللام في لأرجمنّك، هي الموطئة للقسم، وجملة (أرجمنّك) جملة جواب القسم.

أوجه الاختلاف بين القَسَم والشرط:

من أوجه الاختلاف بين القَسَم والشرط ما يأتي:

١ أدوات الشرط أغلبها أسماء باستثناء (إنْ، وإذا، ولو، ولولا) فهي أحرف شرط. وأما القَسَم فأدواته أحرف، وهي: (الباء، التاء، الواو، اللام).

٢ أحرف القَسَم يأتي بعدها اسم مجرور؛ قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ص: ٨٢،

فالباء: حرف قَسَم مبني على الكسر، وعزَّةِ: اسم مجرور والكاف: مضاف إليه. أمّا أحرف الشرط فيقع بعدها أفعال شرط كما مر سابقاً.

٣ يؤتى بالقَسَم للتأكيد، ويطلق على القسم اليمين والحلف، وهي معانٍ تفيد القوه والقدرة. أما الشرط فيؤتى به للربط بين فعل الشرط وجوابه.

٤ يترتب على القَسَم بمعنى الحلف أو اليمين كفارة، أمّا الشرط فلا يترتب عليه كفارة؛ قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ ﴾ المائدة: ٨٩. وهذا يعني أنّ الذي لا يلتزم باليمين فعليه كفارة، أمّا الذي لا يلتزم بالشرط فلا كفارة عليه.

٥ لا يدخل القَسَم على المضارع إلا مع نون التوكيد؛ قال تعالى: ﴿ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم ﴾ الأنبياء: ٥٧، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ﴾ الحشر: ١٢، بخلاف الشرط فإنّه يتعلق بالأفعال الماضية والمضارعة.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) يتفق أسلوب القَسَم والشرط في أنّ كل منهما يفيد التأكيد.

ب ( ) أدوات الشرط أغلبها أسماء.

جـ ( ) لا يدخل القَسَم على المضارع إطلاقاً.

د ( ) القَسَم والشرط كلاهما يترتب عليه كفارة.

هـ ( ) قال تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم ﴾. جملة (لأكيدنّ) هي جمله جواب القسم.

٢ أبين مع المثال لِمَنْ يكون الجواب في حالة اجتماع الشرط والقَسَم في جملة واحدة.

٣ أذكر ثلاثة فروق بين القَسَم والشرط.

٤ أميّز بين القَسَم والشرط في الآيتين الآتيتين، مبيناً أركانهما:

أ قال تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم ﴾ الأنبياء: ٥٧.

ب وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا ﴾ الأنفال: ٢.

الوحـــدة

٤

جدل القرآن الكريم ومحكمه ومتشابهه

الدرس
١٧

الجدل في القرآن الكريم

عرض القرآن الكريم لحقائق واضحة تشهد العقول السليمة والفِطَر المستقيمة بصحتها، وتشهد لها الآيات في الأنفس والآفاق.

وعلى الرغم من ثبوتها ثبوتاً قوياً فإنّ مكابرة الكفار وتعنتهم، حملهم على إثارة الشكوك وتزوير الحقائق والمجادلة بالباطل، فردّ الله عليهم بالحجج الباهرة والأدلة القاهرة، وأبطل شُبَههم بالأدلة القوية والجدل المحكم الرشيد.

الجدل لغة واصطلاحاً:

الجدل في اللغة: الفتل. يقال: جدلت الحبل؛ أي أحكمت فتله، فكأنّ المتجادلين يفتل كل واحد منهم الآخر عن رأيه؛ أي يجعله يتراجع عنه.

وفي الاصطلاح: الرد على الخصم على سبيل الغلبة؛ لإلزامه بالدليل.

الجدل في السياق القرآني:

ورد الجدل في السياق القرآني للدلالة على عدة أمور، أهمها:

١ الجدل من طبع الإنسان؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ الكهف: ٥٤؛ أي خصومة ومجادلة.

٢ الجدل أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ النحل: ١٢٥. وبالطريقة نفسها أمر بمجادلة أهل الكتاب؛ فقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ العنكبوت: ٤٦.

٣ الجدل في القرآن الكريم يهدف إلى إظهار الحق وإقامة الأدلة على صحة حقائقه؛ لهداية الكافرين وإلزام المعاندين، وزيادة إيمان المؤمنين. ومثال ذلك: مجادلة إبراهيم عليه السلام للنمرود؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ البقرة: ٢٥٨.

٤ مجادلة الكفار وأصحاب الأهواء للمؤمنين بالباطل، بهدف السخرية والاستهزاء وإثارة الشبهات والشكوك؛ قال تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾ الكهف: ٥٦.

يتضح مما سبق أنّ الجدل قد يكون محموداً إذا كان القصد منه إقناع الخصم في الوصول إلى الحق، وقد يكون مذموماً إذا كان الهدف منه إثارة الشكوك والشبهات، وكان جدلاً فارغاً بلا هدف.

منهج القرآن الكريم في الجدل والمناظرة:

يتميز منهج القرآن الكريم في الجدل والمناظرة بميزات، أهمها:

١ عَرْضُ القرآن الكريم لحقائق العقيدة وأصول الدين بأدلة وبراهين بدهية ظاهرة لكل ذي عقل، بأسلوب قوي سليم التركيب يفهمه العالم والعامي.

٢ استناد القرآن الكريم في أسلوب الجدل على عرض الآيات الكونية المعروفة والمشاهدة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ آل عمران: ١٩٠، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ لقمان: ١٠ - ١١.

فالناظر إلى الآيتين السابقتين يجد أنّ القرآن الكريم يستدل بما هو مشاهد وتدركه الحواس ويراه الإنسان من حوله كل وقت وحين، ولكنّه في الوقت ذاته يدل على قدرة عظيمة وحكمة كبيرة؛ ما يدل على وجود الخالق العزيز الحكيم، وهو استدلال بدهي سهل تدركه كل العقول على تفاوت بينها في فهم تفاصيله ودقائق صنعه وقوانينه التي يسير عليها.

أنواع الجدل في القرآن الكريم:

استعمل القرآن الكريم عدة أنواع من المناظرات والجدل، أهمها ما يأتي:

أولاً: تقرير أصول العقيدة ومبادئ الدين:

ورد الجدل في القرآن الكريم في سياق الآيات الكونية المقرونة بالنظر والتدبر للاستدلال على أصول العقائد؛ كتوحيد الله في ألوهيته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهذا النوع كثير في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ سبأ: ٢٤ - ٢٧.

■ ثانياً: الرد على الخصوم وإقامة الحجة على المعاندين:

ورد الجدل في القرآن الكريم في مقارعة الخصوم والمعاندين، ولهذا أساليب وصور مختلفة، أهمها:

١ استعمال الاستفهام التقريري؛ وذلك بالاستفهام عن الأمور التي يسلم بها المخاطب، وتسلم بها العقول السليمة حتى يعترف الخصم بما ينكره؛ كقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ الطور: ٣٥ - ٣٨.

٢ الاستدلال بالمبدأ على المعاد، وبالخلق الأول على الخلق الثاني يوم القيامة؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يس: ٧٧ - ٧٩.

٣ الاستدلال بالأمر المحسوس المُشاهَد على الأمر الغيبي، ومثله الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها بالمطر فتخرج النبات، على إحياء الناس بعد موتهم للبعث في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فصلت: ٣٩، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ الحج: ٥ - ٧.

٤ إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها؛ كإبطال دعوى اليهود في قولهم: ما أنزل الله على بشر من شيء، ببيان إقرارهم واعترافهم بأنّ الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ الأنعام: ٩١، وردّ عليهم بقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ الأنعام: ٩١.

٥ إفحام الخصم وبيان أنّ قوله لا يوافقه عليه عاقل؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ الأنعام: ١٠٠ - ١٠١؛ أي كيف يكون له ولد وليس له زوجة، والولد لا يكون إلا من زوجة، ثم إنّ الله خالق كل شيء فهو غني عن الولد، ثم إنّه بكل شيء عليم، فهل يخبره الكفار أنّ له ولداً وهو لا يعلم بذلك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

■ ثالثاً: جدل الأنبياء لأقوامهم من إجل اظهار دعوة الحق:

كما في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء: ١٠٥ – ١١٨ .

■ رابعاً: مجادلة أهل الكتاب:

أمر سبحانه وتعالى بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، من أجل إقناعهم بدعوة الإسلام؛ كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ آل عمران: ٧٠ – ٧١ .

نموذج لجدل الأنبياء مع أقوامهم (قصة البقرة)

المواقف الجدلية بين موسى عليه السلام وقومه كثيرة جداً، ولكننا سنختار واحداً منها، وهو الموقف الذي يتعلق بقصة البقرة: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ٦٧ – ٧٣ .

وردت عدة روايات في سبب نزول هذه الآيات، وملخّصها أنَّ رجلاً من بني إسرائيل قتل عمَّه ووضعه في محلّة لسبطٍ من أسباط بني إسرائيل غير سبطه، ثم اتهمهم بقتله، وطالبهم بديته، فردّوا التهمة عن أنفسهم، وصار كل من ولي الدم والمتهمين يتدافعون الأمر فيما بينهم، ثم طلبوا من موسى أنْ يسألَ ربَّه البيان، فأمرهم أنْ يذبحوا بقرة، فكان منهم ما كان ممّا ذكرته الآيات.

وتكشف لنا هذه القصة عن كثير من السِّمات الخُلُقية لبني إسرائيل، وتُبرز على وجه الخصوص سوء أدبهم مع نبيهم ومع الله تعالى. **وفيما يأتي بيان ذلك:**

أجاب موسى قومَه على طلبهم ببيان القاتل قائلاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾، وفي هذا التعبير ما يكفي لأَنْ يدفعهم إلى الاستجابة والتنفيذ، فنبيهم الذي هو زعيمهم ومخلّصهم من العذاب المُهين بفضل الله تعالى ورحمته يبيّن لهم أنَّ هذا الأمر ليس صادراً منه شخصياً، إنّما هو أمر الله الذي يسير موسى على هداه. فماذا كان جواب القوم؟ لقد كان سفاهة وسوء أدب، واتهاماً لنبيهم الكريم بأنّه يهزأ بهم ويسخر منهم؛ فقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾ البقرة: ٦٧.

ولم يجد موسى ما يردّ به على هذه السفاهة إلا أنْ يستعيذ بالله وأن يردّهم برفق إلى مراعاة الأدب الواجب مع الله تعالى، وذلك بأسلوب التعريض والتلميح؛ ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ البقرة: ٦٧.

وكان في هذا التوجيه ما يكفي ليثوبوا إلى رشدهم ويرجعوا إلى ربهم وينفذوا أمر نبيهم، ولكنّهم كعادتهم يلجؤون إلى المماطلة والتلكؤ، فيسألون أسئلة لا حاجة إليها؛ ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ البقرة: ٦٨. وفي قولهم: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ من سوء الأدب ما لا يخفى، فكأنما هو ربه وحده وليس رب الجميع، وكأنّ المسألة لا تعنيهم هم وإنما تعني موسى وربه. وفي سؤالهم عن ماهية البقرة بقولهم: ﴿مَا هِيَۚ﴾ سوء أدب آخر، فالسؤال في هذا المقام يشير إلى إنكارهم واستهزائهم. فهي ليست إلا بقرة، وقد قال لهم نبيهم هذا من أول الأمر بلا تحديد لصفة أو سمة.

ثم يسلك موسى في الإجابة طريقاً غير طريق السؤال، فقد كان بالإمكان أنْ يبين لهم انحرافهم بصيغة السؤال، ولكنّ أدبه يمنعه من ذلك، وهو لا يريد أنْ يدخل معهم في جدلٍ شكليّ لا طائل وراءه، فآثر أنْ يجيبهم كما ينبغي أنْ يكون المعلم المربي، ومن ثم أبان لهم عن ربه صفة البقرة المطلوبة؛ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ﴾ البقرة: ٦٨، إنّها ليست عجوزاً ولا شابّة؛ وسط بين هذا وذاك. ونلحظ هنا أنَّ موسى دائماً يسند القول إلى الله عز وجل؛ وذلك لأنَّ هذا أدْعى لتحقق الاستجابة من طرفهم.

ثم يُعقِّب على هذا البيان الموجز بطلب تنفيذ الأمر؛ فيقول: ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾ البقرة: ٦٨، ولقد كان هذا كفاية لمن يريد الالتزام. فقد وجههم نحو الأدب الواجب في السؤال والتلقي، وحثّهم على أن يعمدوا إلى أيّة بقرة من أبقارهم متوسطة السن، فيخلِّصوا بها ذمتهم، وينفّذوا بذبحها أمر ربهم، ويُعفوا أنفسهم من مشقة التعقيد والتضييق.

ولكنّهم راحوا يسألون مرة أخرى وبالأسلوب نفسه: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ البقرة: ٦٩، وهم هذه المرة يسألون عن لون البقرة، فجاءهم البيان التفصيلي: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ البقرة: ٦٩، وهكذا ضيَّقوا على أنفسهم دائرة الاختيار، لقد كانوا في سعة من الأمر فأصبحوا مكلَّفين أنْ يبحثوا عن بقرة متوسطة العمر، لا هي عجوز و لا هي صغيرة، ثم لا بدَّ أنْ تكون صفراء،

وأنْ تكون الصُّفرة فيها فاقعة، ثم بعد هذا وذاك ليست هزيلة ولا شوهاء، بل تسرُّ الناظرين.

ولم يكتفِ بنو إسرائيل بهذا وكأنهم بتلكئهم يريدون أنْ يتحللوا من التكليف لكن بأسلوبٍ التوائيٍّ خبيث، فمضوا في طريقهم يعقِّدون الأمور ويشددون على أنفسهم فشدد الله عليهم. وقد عادوا مرة أخرى يسألون عن الماهية ويعتذرون هذه المرة بأنّ الأمر مُشْكِل عليهم؛ ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ البقرة: ٧٠، لأول مرة يقرنون السؤال بمشيئة الله، وكأنهم استشعروا لجاجتهم وأنَّ الموضوع قد أخذ أكثر مما يستحق، ولا فائدة من التلكؤ، ولن يعفيهم ذلك من التكليف.

وجاءهم الجواب بإضافة أوصاف جديدة للبقرة المطلوبة، فضاقت دائرة الاختيار المتاحة لهم، وكانوا في سعة منها وفي غنى عنها؛ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ البقرة: ٧١.

وتكاملت بذلك أوصاف البقرة ولا مجال للمزيد، فهي بقرة متوسطة العمر، صفراء فاقع لونها، فارهة غير مذللة ولا مدربة على حرث الأرض أو سقي الزرع، ولا بد مع ذلك أنْ تكون خالصة اللون لا عيب فيها ولا تشوبها علامة ما. فلم يكن بُدٌّ أنْ يقولوا: ﴿ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ البقرة: ٧١. وكأنَّ كل ما مضى لم يكن حقاً، أو أنهم لم يستبينوا أنَّ ما جاءهم به هو الحق إلا في هذه اللحظة؛ ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ البقرة: ٧١.

يتبين لنا من خلال هذه المجادلة أنَّ موسى عليه السلام كان يجيب على تساؤلات قومه في أدب وحكمة، بينما يردون عليه بكل سخرية واستهزاء، ويتمادون في السؤال عن أشياء لا داعي لها.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) الهدف من الجدل في القرآن الكريم هو إظهار الحق .

ب ( ) أمرنا الله تعالى بمجادلة أهل الكتاب بالشدة والعنف .

جـ ( ) يلجأ الكفار عند عجزهم في المناظرة إلى استخدام القوة والتهديد .

د ( ) الجدل كله مذموم .

٢ أوضح معنى الجدل في اللغة والاصطلاح .

٣ ورد الجدل في السياق القرآني للدلالة على عدة أمور، أبينها .

٤ أذكر اثنتين من ميزات منهج القرآن الكريم في الجدل والمناظرة .

٥ أمثل على استخدام القرآن الكريم لأسلوب الاستفهام التقريري في المجادلة .

الدرس ١٨

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على رسوله محمد ﷺ؛ ليكون للعالمين هادياً وسراجاً منيراً، فرسم للخلق العقيدة السليمة والمبادئ القويمة في آيات بينات واضحة المعالم؛ وذلك من فضل الله على الناس، حيث أحكم لهم أصول الدين لتسلم لهم عقائدهم ويتبين لهم الصراط المستقيم، وتلك الآيات هي أم الكتاب التي لا يقع الاختلاف في فهمها سلامة لوحدة الأمة الإسلامية وصيانة لكيانها. وهناك آيات متشابهات قد يخفى معناها على أهل العلم، وبناءً على ذلك فقد قسم العلماء آيات القرآن الكريم إلى محكم ومتشابه، فما المراد بالآيات المحكمة، والآيات المتشابهة؟

بيان القرآن الكريم للمحكم والمتشابه:

ورد في القرآن الكريم ثلاث آيات تتحدث عن المحكم والمتشابه:

الأولى: تدل على أنّ القرآن الكريم محكم كله، وهي قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: ١.

ويحمل الإحكام في هذه الآية على معنى الإتقان، قال في القاموس المحيط: أحكمه: أتقنه، ومنعه من الفساد.

ويكون القرآن الكريم بهذا المعنى محكماً كله؛ أي نظمت آياته نظماً، لا يطرأ عليه شيء يخل بفصاحته وبلاغته، وذلك هو الإحكام من جهة اللفظ والصياغة. وهو بعد ذلك محكم من جهة المعاني لا يلحقه تناقض، ولا يوصف خبرٌ منه بكذب، بل كل تشريع فيه مشتمل على مصلحة وحكمة؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ النساء: ٨٢، وهذا ما يطلق عليه العلماء الإحكام العام.

الثانية: تدل على أنّ القرآن الكريم متشابه كله، وهي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ الزمر: ٢٣؛ فالقرآن الكريم متشابه كله في كونه أحسن الحديث، وفي كونه مثاني، مكرر المواعظ والوعد والوعيد، يزداد بتكرار تلاوته حلاوة. وهذا ما يطلق عليه العلماء المتشابه العام.

الثالثة: تدل على أن القرآن الكريم بعضه محكم، وبعضه متشابه، وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ آل عمران: ٧.

آراء العلماء في بيان المقصود بالمحكم والمتشابه الوارد في الآية الكريمة:

من خلال التدبر في الآية الكريمة يتضح أنّ المحكم والمتشابه في هذه الآية متقابلان، **وللعلماء في بيان المقصود منهما أقوال:**

١ **المحكم:** ما عُرِف المراد منه وكان واضحاً بيّناً لا لبس فيه؛ كالآيات التي تأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. والمتشابه: ما استأثر الله تعالى بعلمه؛ كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية، فهذه الأمور وكل ما لا تهتدي العقول إليه فهو متشابه. وهو يقتضي الإمساك عن الكلام والخوض فيه، والوقوف عند الإيمان بأنه من عند الله تعالى، ثم تسليم المعنى، وتفويضه لله تعالى، ولذا يقال عند كل من هذه الأمور: الله أعلم بمراده.

٢ **المحكم:** ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً وهو ما عرف بقطعي الدلالة؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص: ١، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ البقرة: ١٦٣. والمتشابه: ما احتمل أوجهاً في تفسيره وتأويله؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ البقرة: ٢٢٨، حيث اختلف العلماء في معنى القرء، هل المراد به الحيض أو الطهر؟

٣ **المحكم:** ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان؛ لأنّه أصل من الأصول؛ كالآيات التي تدعو إلى التحلي بالفضائل؛ كالصدق والأمانة والإحسان والإخلاص، وغيرها من الأخلاق. والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه ويحتاج في فهمه إلى ردّه لبعض الأصول؛ كالآيات التي وردت فيها ألفاظ غريبة، مثل: (الأب) في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ عبس: ٣١، أو ألفاظ مشتركة؛ كاليد واليمين.

الحكمة من إنزال المتشابه:

تتجلى الحكمة عند القائلين بإمكان معرفته في الآتي:

١ حث العلماء على النظر الموجب للعلم.

٢ إظهار فضل العلماء؛ لأنّهم بتدبر المتشابه يزداد حرصهم على الاجتهاد بمعرفته، وتحصيل العلوم منه، واستباط الأحكام المرادة به، فينالون بذلك الرضا من الله تعالى، والأجر العظيم.

٣ فتح باب الجد والاجتهاد في العلوم، فإنّ القرآن الكريم باشتماله على المتشابه يحمل العلماء

على تحصيل علوم كثيرة؛ كاللغة والنحو والبلاغة، وأصول الفقه؛ ليتمكنوا من التأويلات، وترجيح بعضها على بعض.

٤ تحريك العقول إلى الفكر والنظر للتخلص من ظلمة الجهل والتقليد.

أما عند القائلين أنّ المتشابه هو مما استأثر الله تعالى بعلمه، فتكون الحكمة منه:

- ابتلاء الله للعباد واختبارهم، هل سيلتزمون بالوقوف عنده والتوقف عن البحث فيه أم يتشككون ويثيرون به الفتن بين المسلمين؟ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ آل عمران: ٧، قالت: قال رسول الله ﷺ: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»[1].
- التفويض والتسليم والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) ورد في القرآن الكريم ما يدل على أنّه محكم كله.

ب ( ) ليس كل تشريع ورد في القرآن الكريم اشتمل على حكمة أو مصلحة.

جـ ( ) المتشابه ما احتمل وجها واحداً.

د ( ) المحكم: ما عرف المراد منه.

٢ أبين معنى قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: ١.

٣ للعلماء في بيان المقصود من المحكم أقوال، أذكرها.

٤ للعلماء في بيان المتشابه أقوال، أذكرها.

٥ أبين الحكمة من إنزال المتشابه عند مَنْ يقول بإمكان معرفته.

٦ أمثل على الآيات المحكمة في القرآن الكريم، والتي لا تحتمل إلا وجهاً واحداً.

---

١ أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن/ سورة آل عمران، باب «منه آيات محكمات».

الدرس
١٩

الاختلاف في معرفة المتشابه

أنزل الله تعالى القرآن على سيدنا محمد ﷺ بلسان عربي مبين، واللغة العربية تميزت عن غيرها من اللغات باتساع دلالات ألفاظها، واشتمالها على وجوه الاستعارة والمجاز، وقد اشتمل القرآن الكريم على أصول الدين ومبادئه العامة التي جاءت بيّنة واضحة لا تشابه فيها ولا اختلاف، واشتمل كذلك على أحكام شاملة لجميع جوانب الحياة، وانسجاماً مع كون الإسلام جاء رسالة عامة للبشرية فإنّ أحكامه وتشريعاته جاءت بصورة أحكام ومبادئ عامة تصلح لجميع الأزمنة والعصور، غير أنّ بعض أحكام أصول الدين ذُكرت في القرآن الكريم في مواضع مختلفة بأساليب متنوعة يشبه بعضها الآخر دون تناقض، فما رأي العلماء في الآيات المتشابهة؟ وهل معرفة المتشابه من آيات القرآن لا يعلم تأويلها إلا الله؟ أم أنّ الراسخين في العلم يعلمون تأويلها؟ هذا ما سنبينه في هذا الدرس إن شاء الله تعالى.

آراء العلماء في معرفة الآيات المتشابهة:

- **الرأي الأول**: أنّ الآيات المتشابهة لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى، وهو رأي الصحابة؛ كابن عباس وابن مسعود وأبيّ بن كعب وغيرهم، وجمهور العلماء من التابعين ومَنْ جاء بعدهم. **واستدلوا على رأيهم بما يأتي:**

١ أنّ الله تعالى قسّم الآيات إلى محكمات هنّ أم الكتاب، وهي الآيات البيّنة الواضحة التي لا لبس فيها ولا إبهام. وآيات متشابهة في معانيها تحتمل أوجهاً عديدة، وقد أخبرنا الله تعالى أنّه لا يعلم تأويلها إلا هو؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ آل عمران: ٧، ثم صرح الله تعالى بأنّ تأويل الآيات المتشابهة لا يعلمه إلا هو؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ آل عمران: ٧.

٢ أنّ الآية الكريمة ذمّت الذين زاغوا عن الحق؛ لأنّهم يتبعون ما تشابه من الآيات ابتغاء الفتنة؛ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ آل عمران: ٧.

٣ أنّ الواو للاستئناف في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ آل عمران: ٧.

فقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ كلام جديد مستأنف، والواو ليست للعطف؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية، وقال: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم»[1].

- **الرأي الثاني**: أنّ الآيات المتشابهة يعلم تأويلها الراسخون في العلم، وهو رأي مجاهد والإمام النووي والمعتزلة. **واحتجوا بالأدلة الآتية**:

١ أنّ الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ للعطف لا للاستئناف، والمعنى: أنّ الله تعالى يعلم تأويلها، وكذلك الراسخون في العلم يؤمنون بها ويعلمون معناها.

٢ يستحيل أنّ يخاطب الله تعالى عباده بما لا يعرفونه؛ قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته، أقفه عند كل آية وأسأله عن تفسيرها، وهذا يعني أن ابن عباس يعلم تفسير القرآن كله؛ محكمه ومتشابهه.

٣ الآيات المتشابهة لا تقتصر على آيات الصفات، بل هي كل ما احتمل أكثر من وجه واحد في معناه، ويشمل الآتي:

- اللفظ المشترك: كلفظ (القُرء)، ويطلق على الطهر والحيض، ولفظ (العين)، وتطلق على العين المبصرة، وعين الماء، والجاسوس، وحقيقة الشيء.
- اللفظ المجمل: وهو اللفظ المطلق الذي يرد في الخطاب دون بيان المراد منه؛ كقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ الأنعام: ١٤١، فلم تبين الآية مقدار الحق، وجاء البيان في السنة الشريفة. وكذلك الأمر بالصلاة والحج جاء بيان شروطهما وأركانهما في السنة الشريفة.

ويمكن الجمع بين الرأيين في معرفة المتشابه بفهم معنى التأويل، ومن خلال التمييز بين التأويل المذموم والتأويل الممدوح.

مفهوم التأويل:

ورد لفظ التأويل للدلالة على ثلاثة معانٍ هي:

١ التأويل بمعنى التفسير: فهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه، فمجاهد عندما يقول: إنّ الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ آل عمران: ٧، للعطف لا للاستئناف إنّما يقصد التأويل بمعنى التفسير، وهذا لا يختص بصفات الله تعالى.

١ أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن/ سورة آل عمران، باب «منه آيات محكمات».

٢ التأويل يعني حقيقة ما يؤول إليه الكلام، فإذا أخبرنا القرآن الكريم عن اليوم الآخر وما فيه من جنة أو نار، فالتأويل يعني ذات الجنة وذات النار، وحقيقة الذات الإلهية، وأسماء الله وصفاته، وهذه لا يعلمها إلا الله تعالى، فمَنْ قال: إنّه يجب الوقوف عند لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ آل عمران: ٧، إنّما قصدوا التأويل بهذا المعنى.

فمثلاً وصف الله تعالى نفسه وسماها بأسماء وصفات تشابه في اللفظ والمعنى أسماء العباد وصفاتهم، إلا أنّ حقيقة الله وصفاته ليست كحقيقة المخلوق وصفاته؛ لذلك لما سئل الإمام مالك عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ طه: ٥، قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وكذلك معرفة وقوع الساعة وغيرها من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله وحده.

٣ التأويل بمعنى صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلى معنى آخر بما يتعارض مع مبادئ العقيدة وهو التأويل المذموم.

ومن التأويل المذموم الذي يوقع أصحابه في التهلكة ما يقوله المُجَسِّدَةُ، وهم الذين شبهوا صفات الله تعالى بصفات المخلوقين، والمُعَطِّلَةُ، وهم الذين نفوا صفات الله تعالى وعطلوها.

لذلك فإنّ الأصوب والأسلم هو اتباع مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين الذين يؤمنون بصفات الله تعالى، ويثبتون ما أثبت الله من الصفات لنفسه، دون تكييف أو تحريف أو تشبيه أو تعطيل؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١.

وبهذا يظهر أنّه يمكن الجمع بين مَنْ يقول: إنّ الآيات المتشابهة لا يعلم تأويلها إلا الله، ومن يقول: إنّ الآيات المتشابهة يعلم تأويلها الراسخون في العلم بما يأتي:

- أنّ الإمام مجاهد قصد بالتأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم هو التفسير؛ أي فهم آيات القرآن الكريم من خلال معرفة المقصود بألفاظها. أما آيات الصفات فلا يختلف رأيه فيها عن رأي الصحابة.
- أنّ مَنْ قال بأنّ تأويل الآيات المتشابهة لا يعلمه إلا الله، إنّما أراد معرفة ما يؤول إليه الكلام؛ كالبحث في كيفية صفات الله تعالى، أو الوقوف على حقيقة صفات الله، فهذا مما لا يعلمه أحد.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) جمهور العلماء يرون أنّ الواو في قوله تعالى : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ للعطف .

ب ( ) التأويل كله مذموم، وليس هناك تأويل محمود .

جـ ( ) تشمل الآيات المتشابهة اللفظ المجمل واللفظ المشترك .

٢ يرى جمهور العلماء أنّ الآيات المتشابهة لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى، أبيّن الأدلة التي استدلوا بها على رأيهم .

٣ بمَ استدل القائلون بأنّ الراسخين في العلم يعلمون تأويل الآيات المتشابهة .

٤ الآيات المتشابهة لا تقتصر على آيات الصفات، أوضح ذلك .

الوحـــدة

٥

قضايا مهمة في علوم القرآن الكريم

الدرس
٢٠

قواعد يحتاج إليها المفسر

يشترط في المفسر لآيات القرآن الكريم أن يكون على علم باللغة العربية من حيث قواعد النحو، وأسس البلاغة والبيان، وعلم الصرف والدلالة، ويحتاج المفسر إلى مجموعة من قواعد اللغة تساعده في فهم آيات القرآن الكريم، **ومن هذه القواعد الآتي:**

أولاً: الأصل في الضمائر أن تعود على متقدم:

استنبط العلماء من القرآن الكريم والحديث الشريف قواعد لغوية تتعلق بالضمائر، وألّفوا العديد من الكتب الخاصة بذلك، ومن أبرز مَنْ ألّف في ضمائر القرآن الكريم أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري.

ومن فوائد الضمير الاختصار، فالضمير يغني عن ذكر الكثير من الألفاظ، ويحل محلها مع الاحتفاظ بسلامة المعنى دون الحاجة للتكرار؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: ٣٥: في هذه الآية الكريمة جاء الضمير (لهم) في قوله: (أعد لهم) ليقوم مقام عشرين كلمة ذكرت في أول الآية.

والمقصود بالقاعدة أنّه لا بد من كلام واضح بَيِّن يسبق الضمير الغائب بحيث يعود الضمير على أمر سابق مفهوم.

وقد جاء ضمير الغائب في القرآن الكريم ضمن هذه القاعدة وفق أسس، منها:

١ أن يكون ما سبق من الألفاظ صريحاً؛ ليُفهم ما يعود عليه الضمير؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ هود: ٤٢؛ فالضمير في ابنه يعود على سيدنا نوح عليه السلام، وهو لفظ بيّنٌ صريح سابق على الضمير مطابق له.

٢ أن يكون ما سبق من الألفاظ متضمناً ضمير الغائب؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ المائدة: ٨؛ فضمير الغائب الوارد في الآية (هو) يعود على (اعدلوا)، والمعنى: أنّ العدل أقرب للتقوى.

٣ أن يكون ما سبق من الألفاظ يدل على ضمير الغائب دلالة التزام؛ أي مما يستلزمه الكلام ويدل عليه المعنى، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ البقرة: ١٧٨؛ فضمير الغائب الوارد في الآية(إليه) يعود على ولي المقتول الذي عفى عن القاتل وطلب الدية بدل القصاص، وهذا المعنى مما يستلزمه الفعل (عفي).

وقد يتأخر المرجع الذي يعود عليه الضمير، كما في كقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ طه: ٦٧؛ فالضمير في قوله (نفسه) يعود على لفظ متأخر وهو كلمة (موسى)؛ أي أنّ الذي خاف من العصا عندما انقلبت إلى ثعبان هو موسى عليه السلام.

ثانياً: التعريف والتنكير:

- **النكرة**: هي لفظ يدل على شيء شائع غير معين في بني جنسه، مثل: (قلم)، فهي شائعة الدلالة، ولكنها لا تدل على قلم معين. **وتأتي النكرة للدلالة على وجوه كثيرة، منها:**

١ إرادة الإفراد؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ القصص: ٢٠، والمعنى: جاء رجل واحد.

٢ إرادة النوع؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ البقرة: ٩٦؛ فلفظ حياة يدل على أنّ اليهود يحرصون على أيّ نوع من أنواع الحياة، فلا فرق بين حياة عزيزة أو ذليلة، المهم أنّهم يحرصون على أيّة حياة ويخافون الموت.

٣ إرادة التعظيم؛ كقوله تعالى: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ٢٧٩، والمعنى: حرب عظيمة.

٤ إرادة التحقير؛ كقوله تعالى: ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ عبس: ١٨، والمعنى: خلق من شيء حقير مهين.

- **المعرفة**: هي اللفظ الدالّ على شيء معين خاص، مثل: (القلم)، فهي تدل على قلم بذاته. **والتعريف يدل على وجوه كثيرة، منها:**

١ حضور المعنى المراد في ذهن السامع تعظيماً له؛ كقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ الفتح: ٢٩؛ فلفظ (محمد) معرفة؛ لأنّه علم، أراد الله بذكره إرشاد المؤمنين إلى تعظيمه ورفعة شأنه.

٢ حضور المعنى المراد في ذهن السامع تحقيراً له؛ كقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ المسد: ١؛ فلفظ (أبي لهب) معرّفة بالإضافة، والمقصود بتعريفه التحقير.

٣ كراهة ذكر المعرف بالاسم ستراً عليه؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ الأحقاف: ١٧؛ فلفظ (الذي) معرفة؛ لأنّه اسم موصول، لم يحدده القرآن الكريم ستراً عليه.

٤ إرادة العموم بلفظ الاسم الموصول؛ كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ العنكبوت: ٦٩؛ فلفظ (الذين) يدل على العموم، وهو وجه من وجوه المعرفة، وتعرّف بصفة معينة، وهي في الآية الكريمة صفة الذين جاهدوا في سبيل الله.

ثالثاً: الإفراد والجمع:

وردت بعض الألفاظ في القرآن الكريم بصيغة الإفراد أحياناً وبصيغة الجمع أحياناً أخرى، إلا أنّ بعض الألفاظ لم يأتِ في القرآن الكريم إلا بصيغة الجمع، ومثال ذلك: لفظ (الألباب) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ الزمر: ٢١، فلم يرد لفظ (لب) بصيغة المفرد مطلقاً، وإذا كان السياق يستلزم الإفراد جاء مكانه القلب وليس اللُّبّ؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ ﴾ ق: ٣٧، ولم يقل: لُبّ.

ومن الألفاظ ما ورد في القرآن الكريم بصيغة المفرد والجمع؛ للدلالة على قضية معينة، ومثال ذلك:

١ **لفظ (السماء)**: وردت بصيغة الجمع عند إرادة العدد؛ للدلالة على الكثرة والعظمة؛ كما في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ الحشر: ١، جاء لفظ الجمع هنا؛ للدلالة على كثرة المسبحين لله تعالى وعظمة الخالق في خلقه. أما عند إرادة الجهة فإنّها تجيء بلفظ المفرد؛ كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ آل عمران: ٥.

٢ **لفظ (الريح)**: ورد مجموعاً لإفادة الرحمة؛ كقوله تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ الحجر: ٢٢، وورد مفرداً لإفادة العذاب؛ كقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴾ الحاقة: ٦؛ فالريح التي فيها العذاب واحدة لا تتغير ولا تختلف لذلك جاءت بصيغة المفردة، أمّا الرياح بصيغة الجمع فتدل على صفات و منافع كثيرة.

فائدة:

ورد لفظ «الريح» مفرداً في القرآن الكريم؛ ليدل على العذاب إلا في سورة يونس في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا ﴾ يونس: ٢٢.

ومن الألفاظ ما ورد في القرآن الكريم بصيغة المفرد والمثنى والجمع، ومثال ذلك: لفظ (المشرق والمغرب). فقد ورد في القرآن الكريم بالإفراد والتثنية والجمع؛ وذلك لاختلاف دلالة اللفظ. فاللفظ المفرد يدل على الجهة؛ قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ المزمل: ٩؛ أي جهة المشرق وجهة المغرب. والتثنية تدل على اختلاف مطلع الشمس ومغربها في الشتاء والصيف؛ قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ الرحمن: ١٧. وأمّا الجمع فيدل على الاختلاف في مطلع الشمس ومغربها في كل يوم؛ قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ المعارج: ٤٠.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) من فوائد استعمال الضمير الاختصار مع الاحتفاظ بسلامة المعنى.

ب ( ) الأصل في ضمير الغائب أن يعود على ألفاظ متأخرة تفسّر معناه.

جـ ( ) تعرّف النكرة بأنها لفظ وُضِع للدلالة على استغراق جميع ما وُضِع له من أفراد.

د ( ) ورد لفظ المشرق والمغرب في القرآن الكريم بصيغة المفرد فقط.

٢ ورد لفظ السماء والريح في القرآن الكريم بصيغة الإفراد والجمع، أبين دلالة استخدام هذين اللفظين، مع التمثيل.

٣ ورد لفظ النكرة في القرآن الكريم للدلالة على وجوه عديدة، أذكر ثلاثة منها، مع التمثيل.

الدرس
٢١

دعوى الترادف في القرآن الكريم

الناظر في اللغة العربية يجد فيها كلمات ألفاظها مختلفة ومعانيها واحدة، وهذا ما يطلق عليه العلماء الترادف، فما الترادف؟ وهل يوجد في القرآن الكريم؟

معنى الترادف:

هو اشتراك لفظين أو أكثر في حمل معنى واحد باعتبار واحد؛ أي أن يكونا من نوع واحد اسمين أو صفتين ليسا متغايرين، مثل: المطر والغيث، والخشية والخوف، والبخل والشح، وهكذا.

وهنا نسأل: هل يوجد في القرآن الكريم ترادف؟ الجواب على ذلك: أنه لا يوجد، وهذه الألفاظ التي تبدو لأول نظرة أنّها مترادفة؛ أي أنّ معناها واحد، هي في الحقيقة ليست كذلك. فلكل كلمة أو لفظة معنى يختلف عن الآخر. والأمثلة الآتية توضح هذه القضية.

ما يظن أنّه مترادف وليس من المترادف:

وردت كلمات في القرآن الكريم يظن البعض أنّها مترادفة، ولكن عند التدبر فيها يتبين أنّها ليست مترادفة. وفيما يأتي بعض الأمثلة التي توضح ذلك:

١ الرؤيا والحلم:

استعمل القرآن الكريم كلمة (الرؤيا) لما يكون حقاً وصدقاً. بينما استعمل (الحلم) فيما يكون من قبيل الهواجس.

يتجلى لنا ذلك بصورة واضحة في رؤيا إبراهيم عليه السلام أنّه يذبح ولده إسماعيل؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الصافات: ١٠٢.

ومثل ذلك رؤيا الرسول ﷺ أنّه يدخل المسجد الحرام؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا﴾ الفتح: ٢٧.

ومن المعلوم أنّ رؤيا الأنبياء حق وصدق، وهي جزء من الوحي، فقد جاء في الحديث الشريف عن ابن عباس ﷺ قَالَ: «رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ الصافات: ١٠٢»[1].

وفي رؤيا ملك مصر سبع بقرات؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ يوسف: ٤٣ - ٤٤.

والملاحظ أنّ الملأ من المُعَبِّرينَ أجابوا الملك بأنّ هذه الرؤيا -في نظرهم- أضغاث أحلام، وأنّهم لا يعرفون تأويل الأحلام؛ ما يدل على أنّ الحلم يقصد به الهواجس المختلطة، والصور المشوشة التي لا تُصَدَّق، أمّا الملك نفسه فقد عبر عنها بالرؤيا؛ لتأكُّده من رؤيتها لكنه يجهل تأويلها، ولأنّ الله تعالى يعلم صدق وقوعها، فاختار لها هذا اللفظ. ثم جاء يوسف عليه السلام وفسرها؛ جاء في الحديث الشريف عَنْ أَبِي سَلَمَةَ: أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ الأَنْصَارِيَّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَفُرْسَانِهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«الرُّؤْيَا مِنَ اللهِ، وَالحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حلماً يَكْرَهُهُ فلينفث عَنْ يَسَارِهِ ثلاثاً، وليتعوّذ بالله من شرها فإنها لن تضره»**[2].

٢ المطر والغيث:

من خلال التدبر في القرآن الكريم نجد أنّه استعمل المطر في مواطن العذاب والانتقام؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الأعراف: ٨٤، وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ الشعراء: ١٧٣.

أما الغيث فقد استعمله في مواطن الرحمة والخير المقترن بالبشرى والخصب والنماء؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ الشورى: ٢٨. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان: ٣٤.

٣ السَّنَةُ والعام:

استعمل القرآن الكريم كلمتَي السَّنة والعام بمعنيين مختلفين، فقد استعمل السَّنة؛ للدلالة على الجدب

---

١ أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء.

٢ أخرجه مسلم، كتاب الرؤيا.

والقحط والشدة؛ كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ يوسف: ٤٨. ثم ذكر بعد ذلك كلمة العام؛ للدلالة على الخصب الوفير والخير الكثير؛ فقال: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ يوسف: ٤٩. وقال سبحانه عن نوح عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ١٤.

فقد كانت هذه السنوات شديدة عليه؛ لعدم إيمانهم به وسخريتهم منه، وإصرارهم على الكفر.

٤ المدّ والإمداد:

فقد استعمل القرآن الكريم المدّ في الشر والمكروه؛ فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ البقرة: ١٥، وقال أيضاً: ﴿ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾ مريم: ٧٩.

بينما استعمل القرآن الكريم الإمداد في الخير والشيء المحبب إلى النفس؛ فقال: ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ الطور: ٢٢، وقال أيضاً: ﴿ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ الإسراء: ٦.

وبناء على ما تقدم يتبين لنا بأنّه لا ترادف في القرآن الكريم، وأنّ هذه الفروق الدقيقة بين الألفاظ القرآنية تشكل وجهاً مشرقاً من وجوه الإعجاز القرآني.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) لا يوجد في القرآن الكريم ألفاظ يُظنّ أنّها مترادفة

ب ( ) الرؤيا والحلم في القرآن الكريم معناهما مختلف.

جـ ( ) المطر والغيث في القرآن الكريم وردتا بمعنى واحد.

د ( ) الحلم يقصد به الهواجس المختلطة والصور المشوشة التي لا تُصَدَّق.

٢ أعَرِّف الترادف.

٣ أفرق بين المد والإمداد في القرآن الكريم، مع المثال.

٤ أبين لماذا عبر القرآن الكريم على لسان الملك بقوله: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ ولم يعبر بالحلم.

٥ أفرق بين المطر والغيث في القرآن الكريم، مع المثال.

٦ أفرق بين السنة والعام في القرآن الكريم، مع المثال.

الدرس
٢٢

العطف في القرآن الكريم

العطف من التوابع، وهي: التوكيد، والنعت، والبدل، والعطف، وجميعها يتبع ما قبلها في الإعراب. فما المقصود بالعطف؟ وما أقسامه وأدواته؟

تعريف العطف:

تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف، والمعطوف يتبع المعطوف عليه في إعرابه رفعاً ونصباً وجراً وجزماً.

ويأتي العطف في القرآن الكريم على حالتين:

الأولى **عطف المفرد على المفرد؛** كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ المائدة: ٦؛ فقد عطف الأيدي على الوجوه، وفائدته أخذ المعطوف حكم المعطوف عليه في الإعراب ليتصل الكلام. والمعنى: وجوب إتيان جميع المذكورات بعد قوله: (فاغسلوا) بياناً لأركان الوضوء؛ لأنّها معطوفة بعضها على بعض.

الثانية: **عطف الجمل على الجمل**، ويشمل عطف الجملة الاسمية على مثلها؛ كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ٥؛ فجملة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ معطوفة على جملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾، وكلاهما جملة اسمية.

كما يشمل عطف الجملة الفعلية على مثلها؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هود: ٤٨؛ فجملة ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ معطوفة على ﴿اهْبِطْ﴾، وكلاهما جملة فعلية.

وقد تعطف الجملة الاسمية على الفعلية والفعلية على الاسمية.

أدوات العطف في القرآن الكريم:

للعطف أدوات يتم بها، أهمها:

١ **الواو:** تفيد مشاركة المعطوف للمعطوف عليه في الحكم من غير دلالة على ترتيب؛ قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ البقرة: ٢٧٤.

٢ **الفاء**: تفيد الترتيب والتعقيب؛ أي أنّ المعطوف يأتي عقب المعطوف عليه من غير تأخر في الزمن؛ كقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾ الحجر: ٢٢.

٣ **ثمّ**: تفيد الترتيب مع التراخي؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ الأعراف: ١١.

٤ **أو**: تفيد التخيير أو الشك؛ كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ الكهف: ١٩، وهذا للدلالة على شك أهل الكهف في الفترة الزمنية التي لبثوها.

٥ **بل**: تفيد الإضراب؛ أي العدول عن الحكم السابق ونفيه وإثبات حكم جديد؛ ومنه قوله تعالى على لسان الكافرين في وصف الرسول ﷺ: ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ ۗ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ سبأ: ٨؛ أي ليس الأمر كما تقولون من أنّه افترى على الله كذباً أو أنّه مجنون، وإنّما سبب كفركم هو عدم الإيمان بالآخرة والبعد عن الهدى.

٦ **أم**: لطلب تعيين أحد الأمرين، وتأتي مع الاستفهام؛ كقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ الواقعة: ٦٣ - ٦٤، فاستخدام حرف العطف (أم) لتعيين الزارع؛ أي المُنبِت للزرع وهو الله تعالى.

أقسام العطف:

ينقسم العطف باعتبار المعطوف إلى ثلاثة أقسام:

١ **عطف على اللفظ**: ومعظم الكلام على هذا الوجه كما في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ التوبة: ١٠٣، فلفظ (تزكيهم) معطوف على لفظ (تطهرهم)؛ لبيان أنّ الزكاة فيها تطهير للنفس والمال.

٢ **عطف على المحل والموضع**: أي عطف الكلمة وهي المعطوف على محل المعطوف عليه في الإعراب؛ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ ﴾ المائدة: ٦٩، فجعل كلمة (الصابئون) عطفاً على محل (إنّ واسمها) ومحلها الرفع بالابتداء؛ إذ التقدير: المؤمنون واليهود والصابئون والنصارى.

٣ **عطف على المعنى**: كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ غافر: ٣٦ - ٣٧؛ فعطف (أطّلعَ) مع أنها منصوبة على (أبلُغُ) مع أنّها مرفوعة، على معنى (لعلّي أنْ أبلغَ)، فإنّ خبر لعلّ يُقرن بأن كثيراً.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) العطف من الأسماء المنصوبة .

ب ( ) لم يأتِ العطف في القرآن الكريم إلا في صيغة عطف مفرد على مفرد .

جـ ( ) (الواو) حرف عطف يفيد الترتيب مع التعقيب .

د ( ) (أو) حرف عطف يفيد التخيير أو التشكيك .

٢ من أقسام العطف في القرآن الكريم العطف على المعنى، أمثل على ذلك .

٣ من أقسام العطف في القرآن الكريم العطف على المحل والموضع، أمثل على ذلك .

٤ أقارن بين دلالة استخدام حرفَي العطف (الفاء) و(ثمّ)، مع التمثيل .

الدرس
٢٣

السؤال والجواب في القرآن الكريم

عني القرآن الكريم بالسؤال عناية كبيرة، باعتباره وسيلة مهمة من وسائل التعلم؛ لذلك وجه القرآن إلى الانتفاع بأسلوب السؤال وحثّ عليه ورغّب فيه. وسنوضح في هذا الدرس الجوانب المتعلقة بموضوع السؤال في القرآن الكريم.

معنى السؤال:

ينقسم الكلام عند البلاغيين إلى قسمين: خبر وإنشاء. والسؤال يدخل في القسم الثاني وهو **الإنشاء**، وهو أسلوب من أساليب اللغة العربية، ويكون المقصود من السؤال طلب الجواب، ويمكن أن يستخدم لغير طلب الجواب؛ كإفادة التقرير والتعجب وغيرها.

وللاستفهام في اللغة أدوات، منها:

الهمزة، هل، ما، مَنْ، أي، كم، كيف، أين، أنّى، متى، أيّان. وكل هذه الأدوات قد ورد السؤال بها في كتاب الله تعالى.

معاني السؤال في القرآن الكريم:

ورد السؤال في القرآن الكريم مرتبطاً بعدة معانٍ، أهمها:

١ **التعليم**؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٤٣.

٢ **الطلب والتوسل والاستغاثة**؛ وقد ورد على لسان زكريا عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ آل عمران: ٣٨، وعلى لسان نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ نوح: ٢٨.

٣ **المناقشة والمحاسبة**، وقد أخبر الله به عن خلقه يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ الحجر: ٩٢ - ٩٣.

٤ **المخاصمة والتعنت**، وقد أخبر الله به عن منكري البعث؛ قال تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ الواقعة: ٤٧.

٥ **الطلب والاستجابة**، وقد أخبر الله به رسولَه ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ البقرة: ١٨٦ .

٦ **الاستفهام**، ومثاله: السؤال عن الأهلّة في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ البقرة: ١٨٩ .

خصائص السؤال في القرآن الكريم:

امتاز السؤال في القرآن الكريم بمجموعة من المزايا والخصائص، أهمها:

١ **الشمول والتنوع**: عالجت الأسئلة القرآنية جوانب متعددة من حياة المجتمع الإسلامي، فقد شملت أموراً خاصة بجانب الغيب؛ كالسؤال عن الساعة، وأموراً خاصة بالجانب المالي؛ كالسؤال عن أوجه الإنفاق، وأموراً خاصة ببعض الفئات؛ كفئة اليتامى، وأموراً خاصة ببعض السابقين؛ كالسؤال عن ذي القرنين، وغير ذلك.

٢ **الأهمية**: امتازت الأسئلة التي جاءت في القرآن الكريم بالأهمية، ويدل على ذلك ما شملته تلك الأسئلة من استفسارات حول مجالات الحياة الأساسية، وما طرحته من قضايا ملحّة ومهمة تتعلق بحياة المجتمع الإسلامي وقضايا الأمة.

٣ **تثبيت العقيدة وإثبات الوحدانية لله**: استخدم القرآن السؤال كطريقة للإقناع والوصول إلى الحق الذي هو التوحيد ونبذ الباطل الذي هو الشرك؛ فقال تعالى منكراً على الكفار شركهم بالله في عبادته في الوقت الذي يقرون فيه بربوبيته: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦١ .

٤ **الإرشاد إلى سؤال أهل العلم والخبرة**: وهو أسلوب تربوي علمي يوفر الجهد والوقت، وذلك بأخذ العلوم والمعارف من مصادرها الصحيحة والموثوقة، كما أنّ التوجيه إلى سؤال أهل العلم والخبرة يرشد إلى أهمية السؤال، وأنّه طريقة من أهم طرق التعلم والكشف عن الحقائق والمعلومات؛ قال تعالى: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٤٣ .

خصائص الجواب في القرآن الكريم:

امتاز الجواب على الأسئلة في القرآن الكريم بمجموعة من الخصائص، أهمها:

١ **الاتصال بالواقع**: فقد انبثقت الإجابات القرآنية من واقع السائلين وما يجري في حياتهم، فإذا سئل الناس عن الخمر والميسر تكون الإجابة بالتوجيه إلى الرجوع إلى الواقع، والنظر إلى ما

تحدثه الخمر وما يؤدي إليه الميسر في واقع حياتهم؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ المائدة: ٩٠ - ٩١.

ونظراً لكونها مستمدة من الواقع فقد جاءت مقنعة للعقل، فلا تجد العقول السليمة غضاضة في قبولها والتسليم بها؛ فالعاقل يسلم بضرورة الإقلاع عن تعاطي الخمر؛ لكثرة مضارها وقلة منافعها، كما أنّ العقلاء يبتعدون دائماً عن الخبائث التي ترفضها فِطَرهم السليمة وتأباها عقولهم الرشيدة.

٢ **اغتنام الفرصة للتوجيه والإصلاح**: فعندما سأل المشركون عن الشهر الحرام وحرمة القتال فيه بيّن لهم القرآن الكريم صحة ما ذهبوا إليه، ولكنّه أوضح لهم -في الوقت ذاته- أنّ هناك أمراً هو أعظم بكثير من الأمر الذي سألوا عنه، وهو التعدي على حرمة المسجد الحرام وإخراج أهله منه، وفتنتهم بإخراجهم من مكة وردّهم إلى الكفر هو أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام؛ قال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ ﴾ البقرة: ٢١٧.

٣ **مراعاة مصلحة الفرد والمجتمع**: تميزت الإجابات القرآنية بمراعاة المصلحة الفردية والاجتماعية، وهذا واضح في كافة الإجابات القرآنية، فعلى سبيل المثال: عندما كان السؤال عن الكيفية التي تنفق بها الأموال، كان التوجيه القرآني الحكيم بأن تنفق فيما يحفظ الصلات ويدعم الروابط والعلاقات ويقي مؤونة الحاجة، فتنفق الأموال على الوالدين والأقربين والمساكين ونحوهم من أهل الحاجات؛ قال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢١٥.

٤ **التوجيه إلى عدم تبديد الطاقة العقلية**: من خصائص الإجابات القرآنية المحافظة على الطاقات العقلية وعدم تبديدها فيما لا طائل وراءه، فالله عز وجل قد وهب الإنسان هذه الطاقة؛ ليستخدمها فيما ينفعه في دينه ودنياه، ويبتعد بها عما لا يجديه نفعاً أو يجلب التخريب والدمار. والسؤال عن أمور لا يستطيع العقل إدراكها وفهمها هو تبديد للطاقة العقلية؛ لأنّها أكبر من قدراته مهما بلغت، وأعظم من أن يصل إليها بعلومه ومعارفه؛ قال تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ

عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٥. كما أنّ السؤال عن الساعة لا يجدي الإنسان شيئاً، وخير من السؤال عنها الاستعداد لها بالعمل الصالح؛ قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾ النازعات: ٤٢ – ٤٥.

أنواع السؤال في القرآن الكريم:

من خلال الاطلاع على ما ورد في القرآن الكريم من أسئلة بأغراضها المختلفة، يمكن أن نصنفها إلى الأنواع الآتية:

أولاً: أسئلة عن المغيبات:

ورد في القرآن الكريم عدد من المسائل التي سأل أقوام عنها النبيَّ ﷺ مما هو من جملة المغيبات، سواء أكانت من الماضي أم من المستقبل، ومن الأمثلة على ذلك:

١ سؤال الصحابة رضي الله عنهم عن الله عز وجل، وهو أعظم ما سُئل عنه النبيُّ ﷺ، ومسألة الصحابة هذه قد ذكرها الله عز وجل، وذكر جوابها بألطف أسلوب وأجمل عبارة؛ حيث قال جل شأنه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة: ١٨٦.

وسبب نزول هذه الآية أنّه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أقريبٌ ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت ﷺ فأنزل الله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ . . ﴾.

٢ سؤال اليهود عن الروح؛ قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٥.

جاء في سبب نزول هذه الآية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «بينا أنا أمشي مع رسول الله ﷺ في حَرَّة بالمدينة، إذ مررنا على يهود، فقال بعضهم: سَلوه عن الروح، فقالوا: ما أرَبُكم إلى أن تسمعوا ما تكرهون، فقاموا إليه، فسألوه، فقام فعرفت أنّه يوحى إليه، فقمت مكاني، ثم قرأ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فقالوا: ألم ننهكم أن تسألوه؟!».

ويلاحظ في جواب هذا السؤال الذي سأله اليهود أنّه كان جواباً موجزاً، وفي ذلك تنبيه على عظم المسؤول عنه، وأنّه من أمر الله وليس للبشر فيه يد، ولكون عقولهم لا تستوعبه.

■ ثانياً: أسئلة عن ظواهرَ كونية:

ومن الأمثلة على ذلك السؤال عن الأهلَّة؛ قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ البقرة: ١٨٩. والأهلة: جمع هلال، وهو القمر في أوله. وقد جاء سؤالهم استغراباً من حال الهلال؛ حيث يبدو صغيراً ثم يتدرج في نموه حتى يكتمل بدراً، ثم يبدأ في التناقص وهكذا؛ فكان ذلك مما استرعى انتباههم وأثار السؤال لديهم.

وقد جاء الجواب غير مطابق للسؤال، بصرف السائل إلى غير ما سأل عنه، تنبيهاً على أنّ ما صُرف إليه هو المهم له؛ وكان المهم لهم أن يسألوه عما ينفعهم في صلاح دنياهم وأخراهم، ولذلك صرفهم عن مسؤولهم إلى بيان فائدة أخرى، لاسيما والرسول لم يجئ مبيناً لعلل اختلاف أحوال الأجرام السماوية.

■ ثالثاً: أسئلة عن أحكام شرعية:

سأل الصحابة -وأحياناً غيرهم من المشركين وأهل الكتاب- أسئلةً عن حكم الله تعالى في بعض أمورهم التي تُشْكَلُ عليهم، وقد جاء الجواب عنها جميعاً شافياً كافياً. ومن أمثلة ذلك:

١ السؤال عن المحيض؛ قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة: ٢٢٢.

والملاحظ في جواب السؤال عن المحيض أنّه قدّم العلّة على الحكم؛ فبيّن أنّه أذى، ثم أخبر بالحكم وهو وجوب اعتزال النساء في المحيض؛ وذلك من أجل أن تنفر النفوس من هذا الفعل قبل أن يُعلم الحكم به، فتكون بذلك مهيَّأة لقبول الحكم.

٢ السؤال عن الحلال من الأطعمة؛ قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ المائدة: ٤.

بيّن الله لهم في هذه الآية التي جاءت جواباً لسؤال عن الحلال من الأطعمة، أنّه أحلّ لهم الطيبات وما اصطادته الجوارح المدربة؛ كالكلاب والصقور وغيرها. وهذه الآية الكريمة جاءت في غاية الإعجاز؛ حيث اشتملت على عدد من المعاني في عبارات موجزة بديعة النظم.

■ رابعاً: أسئلة العناد والاستكبار:

وهذه الأسئلة تكون من المشركين وأهل الكتاب، والغرض منها ليس التعلم والمعرفة بل العناد والمكابرة. وجواب هذه الأسئلة يأتي غالباً مسكتاً مفحماً لهؤلاء القوم. ومثال ذلك: سؤال المشركين أن يكون الرسولُ ملكاً من الملائكة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ الإسراء: ٩٤ - ٩٥.

وهذا ضرب من الحماقة؛ لأنّه لو كان الرسول ملكاً لاعترضوا، وقالوا: هذا ملك فكيف تريدون منا أن نفعل مثله ونقتدي به، وهو قد جُبِل على الطاعة ولا يعرف المعصية؟!، ولهذا قال جل شأنه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ الأنعام: ٩.

■ خامساً: أسئلة التثبيت واليقين:

قد لا تأتي الأسئلة استفهامية أو استفتائية عن حكم مجهول، ولكنّها تأتي رغبة في الطمأنينة والتثبيت وزيادة اليقين، وتجديد الإيمان برب العالمين. ومن أمثلة هذا النوع: سؤال إبراهيم الخليل عليه السلام ربَّه عن كيفية إحياء الموتى؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦٠.

وسؤال إبراهيم هنا واضحٌ مغزاه، فهو ليس سؤال المنكر أو الشاكّ في قدرة الله تعالى، بل كما قال: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾؛ فالهدف زيادة الطمأنينة، ولهذا لما سأله الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ البقرة: ٢٦٠.

■ سادساً: أسئلة التفخيم والتهويل:

وهذا أسلوب من أساليب البلاغة العربية، حيث يصاغ الكلام في أسلوب استفهام لا يراد منه الجواب، بل يراد منه تفخيم المسؤول عنه وتعظيم شأنه وتهويل أمره. ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ الحاقة: ١ - ٣.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ القدر: ١ - ٢.

والملاحظ في الآيات السابقة أنّ السؤال جاء لغرض التهويل من شأن المسؤول عنه وتفخيم شأنه.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) ورد السؤال في القرآن الكريم بمعنى الطلب .

ب ( ) سؤال المشركين إنزال القرآن على رجل ذي حسب ومال كان بدافع العناد والاستكبار .

جـ ( ) السؤال عن ليلة القدر في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ جاء بغرض التثبيت واليقين .

د ( ) سؤال إبراهيم عليه السلام عن إحياء الموتى جاء بغرض الطمأنينة .

٢ من خصائص السؤال والجواب في القرآن الكريم الاتصال بالواقع ، أبين ذلك ، مع ذكر مثال واحد .

٣ أمثل من القرآن الكريم على ما يأتي :

أ السؤال عن المغيبات

ب السؤال بغرض التثبيت واليقين .

٤ أذكر ثلاثة من خصائص السؤال في القرآن الكريم .

٥ أبين معنى السؤال في الآيات الآتية :

أ قال تعالى : ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ النحل : ٤٣ .

ب قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ آل عمران : ٣٨ .

جـ قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ الحجر : ٩٢ - ٩٣ .

الدرس
٢٤

دلالة الخطاب بالاسم والفعل في القرآن الكريم

الجملة في القرآن الكريم بناء أُحكمت لبناتُه، ونُسّقت أدقّ تنسيق، لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها، أو لا تتعايش مع أخواتها، حتى صار من المستحيل أن تغير كلمة بكلمة، قال المفسر ابن عطية: «وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة، ثمّ أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد».

وسنتناول في هذا الدرس بعض النماذج الدالّة على الدقة في اختيار اللفظة في القرآن، وخاصة في مجال الاسم والفعل.

■ الفرق بين دلالة الاسم ودلالة الفعل:

يقول اللغويون بأنّ الاسم يفيد الثبوت، والفعل يفيد التجدد والحدوث. فإذا قلت: (خالد مجتهد) أفاد ثبوت الاجتهاد لخالد، بينما إذا قلت: (خالد يجتهد) أفاد حدوث الاجتهاد بعد إن لم يكن. وكذا إذا قلت هو حافظ أو يحفظ، وهو خطيب أو يخطب.

وسر ذلك أنّ الفعل مقيد بالزمن؛ فالفعل الماضي مقيدٌ بالذي مضى، والمضارع بالحال أو الاستقبال، في حين أنّ الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة، فهو أشمل وأعم وأثبت.

ومن الأمثلة على التفريق بين الاسم والفعل في الخطاب القرآني ما يأتي:

■ مُخرج ويُخرج:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ الأنعام: ٩٥.

استعمل الفعل مع الحي فقال (يُخْرِجُ)، واستعمل الاسم مع الميت فقال: (مُخْرِجُ)؛ وذلك لأنّ أبرز صفات الحي الحركة والتجدد، فجاء معه بالصيغة الفعلية الدالّة على الحركة والتجدد، ولأنّ الميت في حالة همود وسكون وثبات جاء معه بالصيغة الاسمية.

■ يعذبهم ومعذبهم:

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ الأنفال: ٣٣.

نلاحظ من الآية أنّ الله تعالى بيّن أنّ العذاب لا يقع على المؤمنين في حالتين:

- **وجود الرسول بينهم**: وجاء التعبير عن هذه الحالة بصيغة الجملة الفعلية ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ﴾.
- **الاستغفار**: وجاء التعبير عن هذه الحالة بالجملة الاسمية ﴿مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، فما السرّ في ذلك؟ وجود الرسول ﷺ بينهم مانع للعذاب، لكنّ هذا المنع موقوت ببقاء الرسول فيما بينهم، أمّا الاستغفار فقد جعله الله تعالى مانعاً ثابتاً؛ لأنّ الاستغفار موجود في كل وقت وهو ليس مرتبط بحياة أحد.

■ سلاماً وسلام:

قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ الذاريات: ٢٤ – ٢٥.

فرّق الله سبحانه بين السلامين؛ فجعل الأول بالنصب (سلاماً) وهو سلام الملائكة، والثاني بالرفع (سلامٌ) وهو سلام إبراهيم عليه السلام، ولم يسوِّ بينهما، فما السر في ذلك؟ تقدير الآية: قالوا نسلِّم سلاماً؛ أي: بتقدير فعل. وقوله: (سلامٌ)؛ أي: سلامٌ عليكم، أي: بتقدير اسم، وهو أثبت وأقوى من الفعل؛ وبذلك تكون تحيّته خيراً من تحيّتهم، وهذا ما جاء عليه الأمر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا ۗ ﴾ النساء: ٨٦.

■ صافات ويقبضن:

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ ﴾ الملك: ١٩.

جاء في وصف الطير بـ (صافات) بصيغة الاسم؛ لأنّ الصف هو الأكثر في أحوال الطير عند الطيران فناسبه الاسم الدالّ على الثبوت. وجاء في وصفهنَّ بالقبض بصيغة المضارع (يقبضن)؛ لدلالة الفعل على التجدد. فالأصل في الطيران هو صفّ الأجنحة وبسطها، والقبض طارئ، فجيء بما هو طارئ غير أصلٍ بلفظ الفعل. على معنى أنّهنّ صافات ويكون منهن القبض تارة.

■ **دعوتموهم وصامتون:**

قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ الأعراف: ١٩٣.

فرّق بين طرفَي التسوية فقال: (أدعوتموهم) بالفعل، ثم: (أم أنتم صامتون) بالاسم؛ وذلك أنّ الحال الثابتة للإنسان هي الصمت، وإنّما يتكلم لسبب يعرض له، ولو رأيت إنساناً يكلّم نفسه لاتهمته في عقله؛ لذا لم يسوِّ بينهما فجاء للدلالة على الحال الثابتة بالاسم (صامتون)، وللدلالة على الحال الطارئة بالفعل (دعوتموهم).

والجميل استخدام (أم) المُعادِلَة؛ فدعاؤهم الأصنام وصمتهم عن دعائهم سيّان، وهو عدم الاستجابة لمَنْ يدعو دون الله شيئاً، فسوّى بين الدعاء والصمت.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) الاسم يدل على الحدوث والفعل يدل على التجدد.

ب ( ) لفظة (مُخرِج) في قوله: ﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ الأنعام: ٩٥، تتناسب مع حالة الحياة.

جـ ( ) لفظة (يُخرِج) في قوله: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ الأنعام: ٩٥، تتناسب مع صفات الحي في الحيوية والحركة.

٢ أوضح الفرق بين دلالة الاسم والفعل في اللغة العربية.

٣ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ الأنفال: ٣٣.
أبين السر في استخدام الاسم والفعل في الآية.

٤ أعلل: استخدام أم المُعادِلَة في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ الأعراف: ١٩٣.

الوحـــدة

٦

تفسير الآيات (١ - ٣١) من سورة النساء

الدرس
٢٥

سورة النساء

بين يدي السورة:

سورة النساء من السور المدنية، وهي أطول سور القرآن الكريم بعد سورة البقرة، وقد نزلت هذه السورة منجمة حسب الحوادث والوقائع، وبدأ نزولها بعد الهجرة النبوية، فبعض آياتها نزل بعد غزوة أحد ثم تتابعت الآيات في النزول كاشفة عن الواقع الجاهلي الفاسد، مبينة التشريعات التي تعالج هذا الواقع لبناء المجتمع الإسلامي الأول.

عدد آياتها مائة وست وسبعون آية، وسميت بسورة النساء؛ لأنّ الكثير من أحكامها وتشريعاتها تتعلق بموضوع النساء؛ فمحور موضوعاتها الأسرة المسلمة. وهي سورة مليئة بالأحكام الشرعية التي تؤكد شمولية التشريع القرآني، فقد تضمنت أحكاماً شرعية تنظم شؤون الحياة والمجتمع بكافة أنواعها، فنجد فيها الأحكام والمبادئ العامة التي تنظم الشؤون الخارجية للدولة، كما أنّها تتحدث عن بعض الأحكام الاقتصادية، والتشريعات الاجتماعية التي تتعلق بالمرأة، والبيت، والأسرة، والعديد من القضايا المهمة في حياة الفرد والجماعة والدولة والأمة، **واشتملت السورة الكريمة على الموضوعات الآتية:**

أولاً: ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن أصل وجود الإنسان، فالناس جميعاً خُلقوا من نفس واحدة، وهذا يقتضي المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، فلا فضل لأحد على آخر باعتبار الجنس أو اللغة أو الدم؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُمَا . .﴾ النساء: ١.

ثانياً: بينت السورة أنّ المرأة خُلقت من نفس الرجل، فالعلاقة التي تربطهما علاقة تكامل؛ قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ النساء: ١.

ثالثاً: دعت السورة الكريمة إلى وجوب الاهتمام بالبناء الأسري، فالأسرة هي النواة الأولى في بناء المجتمع، لذلك لا بدّ أن تقوم العلاقات بين أفراد الأسرة والمجتمع على دعائم قوية من الترابط والتكافل والتراحم؛ قال تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً . .﴾ النساء: ١.

رابعاً: تحدثت السورة الكريمة عن حقوق الأيتام عامة، واليتيمات من النساء خاصة، فقررت حقوقهنّ في الميراث والكسب والزواج، وكشفت ما كنّ يتعرضن له من ظلم واضطهاد

وتنكّر للحقوق؛ قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ . . ﴾ النساء: ٣.

خامساً: تعرضت السورة الكريمة لموضوع المرأة؛ فصانت كرامتها، وحفظت كيانها، ودعت إلى إنصافها بإعطائها حقوقها التي فرضها الله تعالى؛ كحقها في المهر والميراث وإحسان العشرة، وغير ذلك من الحقوق؛ قال تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ مِنْهُ . . ﴾ النساء: ٤.

سادساً: تحدثت السورة الكريمة بالتفصيل عن أحكام الميراث لأصحاب الفروض والعصبات من أبناء وبنات، وآباء وأمهات، وأجداد وجدات، وإخوة وأخوات، كما بينت الأحكام الخاصة بالمحرمات من النساء بالنسب والرضاع والمصاهرة.

سابعاً: تناولت السورة الكريمة تنظيم العلاقات الزوجية، وبيّنت أنّ هذه العلاقة قامت من أجل تحقيق مقاصد عظيمة وغايات جليلة، أهمها: تنظيم غريزة الجنس بما يحفظ النوع الإنساني، فهي علاقة إنسانية تقوم على أساس من المودة والمحبة والسكينة.

ثامناً: بينت السورة الكريمة حق الزوج على زوجته، وحق الزوجة على زوجها، وأرشدت إلى الخطوات التي ينبغي على الرجل اتّباعها من أجل إصلاح الحياة الزوجية في حال وجود الخلاف أو الشقاق بين الزوجين، وبينت حق الرجل في القوامة على الأسرة، وأنّ هذه القوامة قوامة رعاية لا قوامة استعباد واستبداد وقهر؛ قال تعالى: ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ . . ﴾ النساء: ٣٤.

تاسعاً: تناولت السورة الكريمة مجموعة من القيم الأخلاقية الفاضلة، ودعت إلى وجوب التمسك بها في التعامل الإنساني في الحياة، فأمرت بالإحسان في كل شيء، ودعت الى التراحم والتكافل والتناصح والتسامح، وأمرت بالحفاظ على الأمانة وتحقيق العدل؛ ليكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً قوياً متيناً متماسكاً؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ ﴾ النساء: ٥٨.

عاشراً: بينت السورة الكريمة حرمة النفس الإنسانية وحرمة التعدي عليها بالقتل والإيذاء، وفصّلت أحكام القصاص للقتل المتعمد وأحكام الدية للقتل الخطأ.

حادي عشر: تحدثت السورة الكريمة عن أهمية التربية الإيمانية والإعداد المعنوي للحفاظ على الأمن الداخلي والخارجي، والحفاظ على استقرار المجتمع والدولة والأمة، وأمرت كذلك بوجوب الإعداد المادي حتى تكون الأمة من أقوى الأمم عدة وعتاداً لمواجهة الأخطار والتحديات.

ثاني عشر: وضعت هذه السورة الكريمة مبادئ أساسية وقواعد عامة للمعاملات الدولية بين المسلمين

والدول الأخرى، وبينت أنّ العلاقة أساساً تقوم على التعاون وتبادل الخبرات، وأمّا الدول المعتدية التي تتعرض للمسلمين وتهدِّد أمنهم وعقيدتهم فلا بد من مواجهة عدوانها بالجهاد حفاظاً على كيان الأمة وهويتها ومدخراتها، كما فصّلت الآيات الكريمة أحكام الجهاد والدرجات التي أعدها الله للمجاهدين يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ النساء: ٧٥.

ثالث عشر: نبهت السورة الكريمة إلى خطر أهل الكتاب وخاصة اليهود، وكشفت موقفهم من رسل الله الكرام، وتعديهم على أنبياء الله وتحريفهم للرسالات، وطبيعتهم المنحرفة في نقض العهود والمواثيق؛ قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ النساء: ١٥٥.

رابع عشر: خُتمت السورة الكريمة ببيان ضلال النصارى في أمر عيسى عليه السلام وفكرتهم حول صلبه، وأنّه ابن الله، واعتقاد بعضهم بألوهيته، والقول بعقيدة التثليث؛ قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾ النساء: ١٧١.

خامس عشر: بينت السورة الكريمة خصائص المجتمع الجاهلي، وما فيه من قيم وأفكار وتصورات و تشريعات فاسدة.

■ خصائص المجتمع الجاهلي في سورة النساء:

بينت سورة النساء خصائص المجتمع الجاهلي الذي نزلت الآيات الكريمة من أجل معالجة الانحراف في الفكر والسلوك والقيم والأخلاق التي تعامل بها الناس في هذا المجتمع، **ومن هذه الخصائص الآتي**:

١ إنّه مجتمع يقوم على الشرك و الضلال والانحراف في العقيدة.

٢ إنّه مجتمع يقوم على الظلم، حيث تؤكل فيه حقوق الأيتام، وبخاصة حقوق اليتيمات، وما كنَّ يتعرضنَ له من ظلم على يد الأولياء والأوصياء، فيجبرن على الزواج من أجل أكل حقوقهنّ في المال.

٣ إنّه مجتمع يقوم على التنكر لحقوق المرآة في الميراث؛ فالرجال الأقوياء يستأثرون بالمال، ولا حظَّ فيه للنساء.

٤ هو مجتمع لا يقيم وزناً لكرامة المرأة ويعاملها بالتعسف والجور والاضطهاد، فهي كالمتاع إن مات زوجها يرثها الأخ الأكبر كما يرث المال.

٥ هو مجتمع يأكل الأموال بالباطل في المعاملات الربوية، وتُغتصب فيه الحقوق، وتُجحد فيه الأمانات، ويُعتدى فيه على الأنفس والأموال والأعراض.

٦ إنّه مجتمع يقوم على التمييز الطبقي؛ يُستعبَد فيه الإنسان الضعيف.

خصائص المجتمع الإسلامي المنشود:

في مقابل بيان خصائص المجتمع الجاهلي الذي نزلت الآيات الكريمة لمواجهتها ومحاربتها، بينت الآيات الكريمة في هذه السورة خصائص المجتمع الإسلامي الذي يراد بناؤه، **ومن هذه الخصائص الآتي**:

١ المجتمع الإسلامي يقوم على أساس وحدانية الله تعالى.

٢ يقوم على أساس وحدة الأصل الإنساني، فلا امتيازات فيه لجنس أو طبقة.

٣ يقيم الأسرة المسلمة على دعائم قوية أساسها المودة والمحبة والتراحم والتكافل والإحسان لذوي القربى والأرحام.

٤ المجتمع الإسلامي يقوم على العدل والمساواة، ويأخذ بيد الضعيف ويحمي الفقراء والأيتام والمساكين.

٥ مجتمع نظيف من عوامل الضعف والانحلال، فهو يحارب الفاحشة والفتنة والفساد.

٦ يحفظ حقوق المرأة ويصون كرامتها، فهي أهل للتكاليف الشرعية، ولها أهليّة قانونية ومالية مستقلة، وتملك التصرف في أموالها كالرجل، ولها الحق في اختيار زوجها.

٧ المجتمع الإسلامي يقوم على القيم الفاضلة، فيحفظ الأعراض والأنفس والأموال ويهتم بالحرمات، ويصون الحقوق والعهود والمواثيق، ويؤدي الأمانات.

٨ يرفع من قيم العدل والمساواة بين أفراد المجتمع، وتنظم العلاقات فيه على أساس من التناصح والتسامح والتواد والتراحم.

٩ يحفظ الأمن والاستقرار من خلال الفهم الدقيق لطاعة ولي الأمر، تلك الطاعة الواعية المنضبطة، لا الطاعة العمياء المطلقة يختار فيه ولي الأمر بالشورى، وتملك الأمة محاسبته ومساءلته. ويقوم ولي الأمر برعاية شؤون الأمة وحق التشريعات الربانية بما يحقق العدل ويحفظ الحقوق

١٠ إنّه مجتمع قوي بعقيدته وإيمانه، وقيامه على العلم والمعرفة، والأخذ بأسباب القوة بأنواعها المختلفة.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) سورة النساء سورة مكية .

ب ( ) لم تتحدث سورة النساء عن أحكام شرعية غير الأحكام المتعلقة بالأسرة والنساء .

جـ ( ) تحدثت سورة النساء على المحرمات من النساء بأنواعها المختلفة .

د ( ) فصّلت سورة النساء الكثير من أحكام الميراث .

هـ ( ) لا ذكر في سورة النساء لشيء من أحكام العلاقات الدولية .

٢ تحدثت الآيات في سورة النساء عن حقوق الأيتام والنساء واليتيمات خاصة، أبين ذلك .

٣ وضحت آيات سورة النساء خصائص المجتمع الجاهلي، أبين ذلك في نقاط .

٤ أذكر أهم خصائص المجتمع الإسلامي كما وردت في سورة النساء .

الدرس
٢٦

وحدة الجنس البشري

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء: ١ .

■ المفردات والتراكيب:

اتقوا ربكم: اجعلوا بينكم وبين ما تخافون من عذاب الله وقاية وحاجزاً.

نفس واحدة: هي آدم عليه السلام.

زوجها: هي حواء عليها السلام.

بثَّ: نشر وفرق.

الأرحام: جمع رحم والمراد بهم القرابة

■ المعنى التفصيلي:

■ وحدة الأصل الإنساني:

افتتح الله جل ثناؤه سورة النساء بخطاب الناس جميعاً ودعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، منبهاً لهم على قدرته ووحدانيته؛ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ النساء: ١؛ أي خافوا الله، واجتنبوا الإشراك به ومعصيته، وحافظوا على فرائضه وحدوده وأطيعوه، فهو الذي أنشاكم من أصل واحد، وهو نفس أبيكم آدم عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ النساء: ١؛ أي أوجد من تلك النفس الواحدة زوجها وهي حواء عليها السلام، فإنّها خلقت من ضلع آدم الأيسر وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنّ المرأة خلقت من ضِلَع، وإنّ أعوج شيء في الضِّلَع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيراً**»[1].

وفي هذا الحديث الشريف بيّن الرسول ﷺ أنّ حواء خلقت من ضلع آدم، ومن طبيعة الضلع الاعوجاج، وقد أوصى الرسول ﷺ بالرفق في معالجة هذا الاعوجاج؛ أي الخطأ الذي قد يصدر عن المرأة؛ لتستمر الحياة الزوجية، وتقوم الحياة على المودة والرحمة.

وفي خلق حواء من آدم دلالة على أنّ المرأة جزء من الرجل ومكملة له.

١ أخرجه مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

■ تنوع الجنس البشري:

يدل قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ النساء: ١ على أنّ الله خلق من آدم وحواء خلائق كثيرين: ذكوراً وإناثاً، ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم؛ ما يدل على أنّهم متساوون في الحقوق والواجبات، فلا فضل لجنس على جنس ولا لون على لون إلا بالتقوى.

■ الحث على صلة الأرحام:

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ النساء: ١، كلمة تساءلون أصلها: تتساءلون. والأرحام منصوبة عطفاً على لفظ الجلالة (الله). ومعنى الآية: خافوا الله الذي تحلفون به، ويسأل به بعضكم بعضاً فيقول الواحد للآخر: أسألك بالله. والمراد بذلك: خافوا الله أن تعصوه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بِرّوها وصلوها وأحسنوا إليها. وهذه دعوة للناس جميعاً أن يتقوا الله وأن يَصِلوا أرحامهم. **فما المقصود بالرحم؟**

الرحم: اسم لكافة الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره، وهي مشتقة من الرحمة؛ لأنّ ذوي القرابات من شأنهم التعاطف والتراحم.

■ حكم صلة الرحم:

اتفق العلماء على أنّ صلة الرحم واجبة، وأنّ قطيعتها محرمة، ويخطئ كثير من الناس عندما يظن أنّ صلة الرحم تنحصر في المحارم من النساء؛ كالأمهات والأخوات والخالات والعمّات، والصواب أنّه يجب صلة كل ذي رحم محرم من الرجال والنساء، فيجب على الرجال صلة النساء المحارم وعلى النساء صلة الرجال المحارم، وتتحقق صلة الرحم بالزيارة وتفقد الأحوال وتقديم العون والمساعدة عند الحاجة والقدرة على ذلك.

وقد وردت أحاديث كثيرة تحث على صلة الرحم وتنهى عن قطيعتها، منها:

١ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصلْ رحمه**»[١].

٢ عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله عز وجل: أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**»[٢].

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حق الضيف.

٢ أخرجه أحمد في مسنده ١/ ١٩٤.

وقد اختتمت هذه الآية الكريمة بالتأكيد على رقابة الله على عباده، فالله سبحانه عليم بكل شيء لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

ولا شك أنّ لإيمان الإنسان برقابة الله الدائمة عليه آثاراً عظيمة على أقواله وأعماله وسلوكه، فيستقيم على منهج الله تعالى وإن وقع منه الخطأ سارع بالتوبة والإنابة إلى الله.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الله تبارك وتعالى أكّد رقابته على عباده بمؤكدات ثلاثة، هي:

- استعمال حرف التوكيد (إنّ).
- تكرار لفظ الجلالة (الله)؛ فقال: (واتقوا الله)، وقال: (إنّ الله كان عليكم رقيباً)؛ ما يبعث في النفس كل معاني الخشية والعبودية له.
- التعبير بـ(كان) الدالة على الدوام والاستمرار.

ما ترشد إليه الآية:

١ خلق الله الناس جميعاً من نفس واحدة، يقتضي تساويهم في الحقوق والواجبات، فلا فضل لأحد على آخر باعتبار الجنس أو اللغة أو الدم.

٢ اللبنة الأولى للمجتمع هي الأسرة المكونة من زوجين، ثم تمتد لتشمل الأبناء والبنات والآباء والأمهات والإخوة و والأخوات والأقارب جميعاً.

٣ إيمان المسلم برقابة الله الدائمة عليه لها أثر عظيم في استقامته على منهج الله وهديه.

٤ وجوب صلة الرحم والتحذير من قطيعتها.

التلاوة والتجويد

مراجعة عامة لأحكام المدود

- **مد اللين**: يكون مد اللين في الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما والساكن ما بعدهما بسبب الوقف، مثل: فِرْعَوْن، الصيْف، بَيْت
- **حكمه**: جواز مدّه من حركتين إلى أربع إلى ست حركات في حالة الوقف على الحرف الذي يأتي بعد الواو أو الياء، أما في حالة الوصل فلا يوجد مد.
- **صفة المد**: أن نطيل مدّة زمن سكون الواو والياء مقدار ثانية أو ثانيتين أو ثلاث ثوانٍ؛ أي حركتين إلى أربع إلى ست حركات

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) المراد بالنفس الواحدة المذكورة في الآية حواء عليها السلام .

ب ( ) معنى (تساءلون به)؛ أي تسألون أموال الناس .

جـ ( ) البشر من أصل واحد؛ لذا ينبغي التفريق بينهم وتقديم الجنس الأبيض على الجنس الأسود .

د ( ) العلاقة بين أفراد الأسرة ينبغي أن تقوم على التكافل والتعاون .

٢ أستخرج الوجه البلاغي من الدعوة إلى تقوى الله مرتين في الآية الكريمة .

٣ ما المعنى المستفاد من قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ النساء : ١ .

٤ أذكر الحكمة من اقتران تقوى الله بالرحم في قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ .

٥ أذكر ما ترشد إليه الآية الكريمة .

٦ اشتملت الآيات الكريمة الآتية على أنواع من المدود أستخرج هذه الأحكام في الكلمات التي تحتها خطوط :

أ قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ قريش : ٤ .

ب قال تعالى : ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ الروم : ٢ .

جـ قال تعالى : ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ غافر : ٣ .

د قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ الحجرات : ٧ .

هـ قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾ يونس : ٥ .

و قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾ العنكبوت : ٤٢ .

الدرس

٢٧

الحفاظ على حقوق الأيتام

قال تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ النساء: ٢ - ٣.

معاني المفردات والتراكيب:

لا تتبدلوا الخبيث بالطيب: لا تستبدلوا الرديء بالجيد.

حوباً كبيراً: ذنباً وإثماً عظيماً.

تعولوا: تميلوا عن الحق وتجوروا.

سبب النزول:

نزل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ النساء: ٣؛ لمعالجة واقع فاسد زمن الجاهلية، حيث كان الأوصياء على اليتيمات يتعدون على حقوقهنّ، فيتزوجون منهنّ دون صداق، ودون رضا منهنّ، ودافعهم إلى ذلك هو أكل مال اليتيمات، فعن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**يا بن أختي، تلك اليتيمة تكون في حجر وليها، تشاركه ماله، فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها، فيعطيها ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهنّ إلا أن يقسطوا لهنّ، وأمروا أن ينكحوا غيرهنّ مما طاب لهم من النساء**»[1].

المعنى التفصيلي:

أداء حقوق اليتامى:

يوجه الله تعالى الخطاب إلى الأولياء والأوصياء ويحثهم على وجوب الحفاظ على حقوق الأيتام، وأن يعطوا الأيتام حقوقهم التي ائتُمنوا عليها عندما يبلغون سن الرشد؛ بقوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ النساء: ٢، ومعنى آتوا؛ أي أعطوا، واليتامى: جمع يتيم وهو من فقد والده عند الصغر، فإذا بلغ زالت عنه

١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب شركة اليتيم وأهل الميراث.

صفة اليتم؛ قال ﷺ: «**لا يتم بعد احتلام**»[1] فإذا ترك الوالد مالاً فقد أوجب الله حفظ ماله بأن أقام عليه وصياً أو ولياً، يحفظ ماله وينميه، وينفق منه على اليتيم، وتبقى ولاية الوصي على مال اليتيم حتى سن الرشد؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ النساء: ٦.

ونهت الآية الكريمة الأوصياء على اليتامى وحذرتهم من أمرين:

الأول: استبدال أموال اليتامى أو جزء منها، بأن يستبدل الوصي الرديء منها بالجيد، فيعطي اليتيم بدل ماله مالاً رديئاً غير جيد؛ كأرض أو أنعام أو غيره؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ﴾ النساء: ٢، والخبيث من المال ما كان رديئاً أو قليل المنفعة والفائدة، وهذا يعني إعطاء اليتيم عين ماله دون تبديل أو تغيير.

الثاني: ضم مال اليتيم إلى ماله أو خلط مال اليتيم بمال الوصي رغبةً في أكلها والسيطرة عليها بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾ النساء: ٢، والمعنى: لا تخلطوا مال اليتيم بأموالكم فتأكلوها. وحرف الجر (إلى) متعلق بمحذوف في موضع حال منصوب، والمعنى: لا تضموها إليها في الإنفاق رغبةً في أكلها، فإن فعلتم ذلك فقد ارتكبتم إثماً عظيماً؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾ النساء: ٢، والضمير في أنّه يعود إلى أكل مال اليتيم، ومعنى حوباً كبيراً؛ أي ذنباً عظيماً وإثماً كبيراً.

فاليتيم يحتاج إلى الرعاية والحماية لشدة ضعفه وعدم قدرته على التصرف بماله، فاحذروا من ظلمه والتعدي على ماله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ النساء: ١٠.

وقد يتساءل البعض في عدم جواز خلط مال اليتيم بمال الوصي من أجل تنميته واستثماره في مشاريع مجدية ونافعة. فالجواب: إن كان في ضم مال اليتيم وخلطه بمال الوصي تحقيق مصلحة مشروعة، فلا بأس بذلك شريطة التوثيق والإشهاد من أهل الأمانة والتقوى مخافةَ أن يضيع مال اليتيم؛ قال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ﴾ البقرة: ٢٢٠.

---

١ أخرجه أبو داود، كتاب الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم.

حكم تعدد الزوجات:

بينت الآية الكريمة أنّ الله تعالى أباح تعدُّد الزوجات ولم يوجبه، وقيّده بقيود وشروط هي:

١ قيد إباحة التعدد بأربعة زوجات بعد أن كان التعدد زمن الجاهلية غير مقيد بعدد أو شرط، فكان الرجل يجمع ما شاء من النساء؛ عن عبد الله بن عمر ﷺ أنّ غيلان بن أمية الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة؛ فقال له النبي ﷺ: «**اختر منهنّ أربعاً**»[١].

٢ العدل بين النساء؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ النساء: ٣؛ أي إن خفتم عدم العدل بين النساء فاقتصروا على واحدة فقط، ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ النساء: ٣؛ أي أنّ الاقتصار على واحدة حال الخوف من عدم العدل أقرب إلى عدم الجور والظلم، والعدل المطلوب هنا هو العدل في النفقة والمعاملة والمعاشرة الزوجية، أمّا الميل القلبي فليس من العدل؛ لأنّه فوق قدرة الإنسان، وقد كان النبي ﷺ يميل إلى عائشة ﷺ أكثر من غيرها من النساء، وكان يقول: «**اللهمّ هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**»[٢].

٣ القدرة على الإنفاق، ذلك أنّ عدم القدرة على الإنفاق على الزوجات حالة التعدد يؤدي إلى الظلم والجور، وقد أخذ العلماء هذا الشرط من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ النساء: ٣؛ لأنّ معنى تعولوا: من العول وهو الفقر، قال الإمام الشافعي: إنّ الاقتصار على الواحدة أقرب إلى العدل حال الخوف من عدم القدرة على الإنفاق؛ لأنّ التعدد يكثر عيالكم، فتعجزون عن الإنفاق عليهم فتقعون في الظلم والجور.

حكمة تعدد الزوجات:

إنّ إباحة تعدد الزوجات مسألة اقتضتها ظروف الحياة والمجتمع، وهي ليست تشريعاً جديداً جاء به الإسلام، إنّما هو تشريع قديم جاء الإسلام لتنظيمه وتقييده بقيود وشروط تحقق مصلحة الرجل والمرأة والمجتمع على السواء، **وتظهر الحكمة من ذلك في أمور عديدة، منها:**

١ تعدد الزوجات يعالج مشكلة اختلال التوازن في المجتمع، ونقصد به: زيادة عدد النساء عن عدد الرجال، والمرأة في هذه الحال إمّا أن تبقى دون زوج ودون رعاية فيقع عليها الظلم وتحرم من إشباع غريزة الأمومة والحنان والعطف، وتشبع غرائزها بالانحراف والانحلال عن طريق الزنا، ولا يخفى عليكم المضار والمفاسد الناتجة عن انتشار الفاحشة والرذيلة على الأسرة والمجتمع بأسره، فجاء الإسلام بهذا التشريع الرباني لعلاج هذه المشكلة.

---

١ أخرجه أحمد في مسنده.

٢ أخرجه أبو داود، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء.

٢ فطر الله تعالى النفس البشرية على حب الولد، فماذا يصنع الزوج إن كانت امرأته عاقراً لا تلد، فالبعض قد يصبر، والبعض إذا رأى أنّ التشريع يحرمه من إشباع فطرته وحبه للولد، كره زوجته ورأى أنّها سبب شقائه فيقوم بتطليقها، فأيّهما أفضل للمرأة أن تظل في عصمة زوجها مع زوجة أخرى محتفظة بحقوقها أو أن تعيش بغير زوج؟

٣ قد تصاب المرأة بمرض مزمن لا تستطيع معه أن تقوم برعاية زوجها وتأدية حقوقه، فأيّهما أفضل للمرأة في هذه الحال أن تطلق في وقت هي أحوج فيه إلى مَنْ يرعاها ويقوم على شؤونها، أم أن تعيش مع امرأة أخرى؟

ما ترشد إليه الآيات:

١ الحفاظ على حقوق الأيتام، وإعطاؤهم حقهم في المال عندما يبلغون سن الرشد.

٢ عدم تعدي الأولياء على أموال اليتامى، بأخذها وضمها إلى أموالهم أو تبديلها وإعطاء اليتامى الرديء منها.

٣ حِرص الأولياء على اليتيمات وعدم الطمع في أموالهنّ، أو الإقدام على الزواج بهنّ من أجل أكل حقوقهنّ، أو دون إعطائهنَّ حقهنَّ من الصداق.

٤ أباح الإسلام تعدد الزوجات وقيّده بأربع، واشترط القدرة على الإنفاق وتحقيق العدل بينهنّ في النفقة والمعاشرة والمعاملة بالمعروف.

أوجه البلاغة:

اشتملت الآية الكريمة على المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾؛ أي الذين كانوا يتامى، فهم عند إعطائهم المال يكونون قد بلغوا سن الرشد وليسوا بأيتام، والتعبير باليتامى مجاز مرسل، فقد ذكر ما كانوا عليه حين فقدوا الوالد وهم صغار، وأراد بما سيكونون عليه من بلوغ سن الرشد.

مراجعة عامة

أحكام المد اللازم

- **المد اللازم**: هو أن يأتي بعد حرف المد سكونٌ أصلي، **وينقسم إلى قسمين**: **الحرفي والكلمي**.

أولاً: المد اللازم الحرفي:

- يختص هذا النوع من المد بفواتح بعض السور التي تبدأ بحروفٍ مقطعة مثل (ألم)، (طسم). **وهو**: أن يقع بعد حرف المد سكونٌ أصلي في حروف فواتح السور.

حكمه: أن يمد مداً لازماً بمقدار ست حركات وجوباً.

ويقسم هذا النوع من المد إلى قسمين:

الأول: **المد اللازم الحرفي المخفّف**: وهو أن يقع بعد حرف المد سكونٌ أصلي في فواتح السور، ومثاله: (ق) تقرأ (قاف). و(ن) تقرأ (نون).

الثاني: **المد اللازم الحرفي المثقّل**: وهو أن يقع بعد حرف المد حرف مدغم (مشدّد)، مثل: (ألم) تقرأ (ألف لامْ مِيم)، بحيث تدغم الميم الساكنة الأولى إدغاما شفوياً في الميم الثانية المتحركة، وتمد بمقدار ست حركات وجوباً فتصير (ألف لامّيم)، و(طسم) تقرأ (طا سين ميم) بحيث تدغم النون الساكنة مع الميم وتصير (طا سيمّيم).

وتجدر الإشارة إلى أنّ سبب الشدة في المثالين هو الإدغام، ولم يقع المد اللازم المثقّل إلا في هذين الموضعين.

ثانياً: المد اللازم الكلمي، ويقسم هذا النوع إلى قسمين:

الأول: **المد اللازم الكلمي المثقل**: إذا أتى بعد حرف المد في الكلمة حرف مشدد، ومثاله: «الضالِّين»، «الحاقَّة»

الثاني: **المد اللازم الكلمي المخفف**: إذا أتى بعد حرف المد في الكلمة حرف ساكن سكوناً أصلياً، وكان غير مشدّد، ومثاله: «ءالئن».

ويمدَّ اللازم الكلمي بنوعيه بمقدار ست حركات وجوباً.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) لا يجيز الإسلام للوصي أن يتزوج باليتيمة التي هو وصي عليها حتى لو كان بإرادتها ومنحها صداقها كاملاً .

ب ( ) تعدد الزوجات واجب وليس مباحاً .

جـ ( ) لم يقيد الإسلام جواز التعدد بقيد ولا شرط .

د ( ) معنى (حوباً كبيراً)؛ أي إثماً وذنباً عظيماً .

٢ ما سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ النساء : ٣؟

٣ ما المقصود بقوله تعالى فيما يأتي :

أ قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ﴾ النساء : ٢ .

ب قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ النساء : ٣ .

جـ قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾ النساء : ٢ .

٤ ما الحكمة من إباحة تعدد الزوجات؟

٥ ما الشروط الشرعية التي حددها الشرع لتعدد الزوجات؟

٦ أتلو الآيات الكريمة الآتية، وأستخرج منها أحكام المد الحرفي .

أ قوله تعالى : ﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ ق : ١ .

ب قوله تعالى : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ مريم : ١ .

جـ قوله تعالى : ﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾ الشورى : ١ - ٢ .

د قوله تعالى : ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ الشعراء : ١ - ٢ .

هـ قوله تعالى : ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ الأعراف : ١ - ٢ .

و قوله تعالى : ﴿ الٓرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ يونس : ١ .

الدرس
٢٨

المحافظة على مهور النساء وأموال السفهاء

قال تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ النساء: ٤-٥.

■ المفردات والتراكيب:

صدُقاتهن: جمع صدُقة وهو المهر.

نِحلة: هِبة وعطية.

طِبْنَ لكم: وهبنكم وأعطينكم شيئاً من المهر.

هنيئاً مريئاً: حلالاً طيباً.

السفهاء: ضعفاء العقول، والمراد بهم هنا: المبذرون للأموال.

جعلها الله لكم قياماً: لا تقوم حياتكم ومعاشكم إلا بها.

■ المعنى التفصيلي:

يأمر الله تعالى الأزواج والأولياء أن يؤدوا المهور كاملة للنساء عن طيب نفس وارتياح خاطر، فالمهر حق خالص للمرأة لا يجوز الانتقاص منه. وقد كان الأولياء والأزواج في الجاهلية يأكلون صداق المرأة، ولا يعدونه حقاً من حقوقها، فجاءت هذه الآية لتعالج هذا الواقع الفاسد، ولتؤكد أنّ المهر حقٌّ خالص للمرأة.

■ الحكمة من جَعْلِ المهر واجباً على الرجل:

أوجب الإسلام المهر على الرجل دون المرأة لحكم عديدة، منها:

١ أنّه تكريم لقدوم المرأة على بيت الرجل ووفادتها عليه؛ فالمهر ليس ثمناً للمرأة يدفعه الرجل، ولكنّه دليل تقدير ومحبة، وجب أن يقدمه الرجل للمرأة التي يريد الزواج بها.

٢ أنّه تصديق لرغبة الرجل بالزواج من المرأة، ودليل على قدرة الزوج على تحمل المسؤولية تجاه الزوجة والبيت، وأنّه قادر على توفير المهام المادية التي تحتاجها الحياة الزوجية.

■ النهي عن نكاح الشغار:

من صور أكل الأولياء لمهر المرأة في الجاهلية **نكاح الشغار**، وهو: أن يزوج الولي المرأة التي في ولايته لرجل آخر على أن يزوجه هذا الآخر ابنته أو من تحت ولايته وليس بينهما مهر؛ أي لا يدفع أحدهما مهراً للآخر، بل تعتبر كل من الزوجتين مهراً للأخرى؛ فحرم الإسلام ذلك وأمر بإعطاء الزوجة مهرها كاملاً.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: «**لا شغار في الإسلام**»[1].

■ حفظ مال السفيه:

دعت الآية الثانية إلى حفظ أموال السفهاء بعدم تبذيرها، ونهت الأوصياء عن تسليمها لهم خشية ألا يحسنوا التصرف فيها؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ النساء: ٥؛ أي لا تعطوهم أموالهم التي جعلها الله قياماً لمعاشكم وأبدانكم وتجاراتكم، فالمال قوام الحياة وبه يتمكن المرء من قضاء حاجاته، فلا يجوز تسليمه للسفهاء؛ لأنّهم لا يحسنون تدبيره واستثماره فلا يسلم لهم، ولا يحق لهم التصرف فيه تصرفاً مطلقاً بل ينفق عليهم منه.

معنى قوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ النساء: ٥؛ أي أطعموهم وألبسوهم منها وعاملوهم بالمعروف وقولوا لهم قولا رقيقاً ليناً فيه النصح والتوجيه لهم، حتى يحسنوا التصرف في المستقبل في أموالهم.

■ لفتة بلاغية:

نسبت الآية الأموال إلى الأوصياء مع أنّه مال السفهاء، فقالت: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ النساء: ٥، ولم تقل (أموالهم)؛ لأنّ للجماعة حقاً في المال، فلا ينبغي إتلافه أو تبذيره، وفي ذلك إشارة إلى وجوب التكافل بين الأمة والحث على حفظ الأموال وعدم تضييعها؛ لأنّ تبذير السفيه للمال فيه مضرة للمجتمع كله.

■ ما ترشد إليه الآيات:

١ أكرم الإسلام المرأة بعد أن كانت مظلومة مهضومة الحقوق.

٢ المهر حق للمرأة لا يجوز للولي ولا للزوج الاعتداء عليه.

٣ رعى الإسلام الأيتام وحفظ حقوقهم وأمر بالإحسان إليهم.

٤ حافظ الإسلام على أموال الجماعة، ونهى عن تسليمها لمَنْ يبذرها أو يتلفها.

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب تحريم نكاح الشغار وبطلانه.

التلاوة والتجويد

مد الصلة

مد الصلة خاص بهاء الضمير، وهاء اسم الإشارة، بحيث إذا كانت متحركة وقعت بين حرفين متحركين يتولد منها باللفظ واو عندما تكون مضمومة، وياء عندما تكون مكسورة؛ وذلك في حالة الوصل، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾ الشورى: ٢٧، وقوله: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ الكهف: ٣٧، وقوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ الكهف: ٢٧، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ الإنسان: ٢٩.

ومد الصلة ينقسم إلى قسمين:

١ **صلة صغرى:** إذا لم يأتِ بعد هاء الضمير أو هاء اسم الإشارة همزة كما في الأمثلة السابقة، والحكم أنه يجوز مد هذا النوع مقدار حركتين كالمد الطبيعي.

٢ **صلة كبرى:** إذا جاء بعد هاء الضمير، أو هاء اسم الإشارة همزة، مثل: قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ الحديد: ١١، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ الروم: ٢٠، وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ الكهف: ٢٦، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ الأنبياء: ٩٢.

والحكم: أنّه يجوز مد هذا النوع حركتين أو أربع أو خمس حركات كالمد المنفصل.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) السفهاء هم الذين يحسنون التصرف في أموالهم .

ب ( ) يمكن للزوج أو الولي أن يأخذ جزءاً من المهر بغير رضا زوجته .

جـ ( ) حرّم الإسلام نكاح الشغار (البدل)؛ لأنّه لا مهر فيه للمرأة .

د ( ) يجوز لولي اليتيم أن يغلظ له القول ويعامله بالعنف .

٢ أعلل : عبّر القرآن الكريم بكلمة (أموالكم) عن أموال السفهاء مع أنّها أموالهم .

٣ أذكر حديثاً نبوياً يدل على حرمة نكاح الشغار .

٤ أبين الحكمة مِنْ جَعْلِ الإسلام المهر على الرجل .

٥ أبين ما ترشد إليه الآيات الكريمة .

٦ أبين حكم المد في الكلمات التي تحتها خطوط في الآيات الكريمة الآتية :

أ قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف : ١١٠ .

ب قال تعالى : ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ الكهف : ٢٧ .

جـ قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ التوبة : ٢٨ .

د قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ الروم : ٢٠ .

هـ قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ الإسراء : ٣٠ .

و قال تعالى : ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ القصص : ٨ .

الدرس
٢٩

الولاية على مال اليتيم

قال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾ النساء: ٦ .

■ المفردات والتراكيب:

ابتلوا: اختبروا .

آنَسْتُمْ: أبصرتم وتبينتم .

رُشْداً: صلاحاً للعقل وحفاظاً على المال .

إسْرافاً: مجاوزة للحد في كل عمل، ويغلب استعماله في المال .

بداراً: مبادرة ومسارعة .

فَلْيَسْتَعْفِفْ: فليطلب العفة وليلزم نفسه بها .

حَسيباً: رقيباً .

■ سبب نزول الآية:

ذكر العلماء أنّ هذه الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه؛ وذلك أنّ رفاعة توفي وترك ابنه وهو صغير، فأتى عمّ ثابت إلى النبي ﷺ فقال: إنّ ابن أخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله، ومتى أدفع إليه ماله؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .

■ المعنى التفصيلي:

■ مفهوم ابتلاء اليتامى:

هو اختبار اليتامى وقت بلوغهم الحلم وهو سن النكاح، ويكون الاختبار بتأمل الوصي أو الولي أخلاقَ اليتيم ولداً كان أو بنتاً، والاستماع إلى أغراضه وحاجاته، ومراقبته في التصرف في الأموال القليلة التي تدفع إليه، فيحصل له العلم برشده . واختبار اليتيم يختلف من شخص إلى آخر، ومن زمن إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى .

■ **مفهوم (حتى) في قوله:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾:

حَتَّى هنا تفيد انتهاء الغاية، وهي داخلة على جملة إذا بلغوا النكاح، فهي تبين نهاية الصغر، والجملة التي دخلت عليها ظرفية في معنى الشرط. والتقدير: وابتلوا اليتامى وقت بلوغهم، فادفعوا إليهم أموالهم بشرط إيناس الرشد منهم.

■ **مفهوم البلوغ:**

المراد ببلوغ النكاح: بلوغ وقته بالقدرة على الزواج، وهو كناية عن الخروج من حالة الصبا للذكر والأنثى، بوجود المظاهر التي تدل عليه عندهما؛ وذلك بالاحتلام عند الرجل، وبالحيض عند الفتاة.

■ **مفهوم الإسراف والبدار:**

الإسراف: هو تجاوز الحد المسموح به للولي أو الوصي في الأكل من مال اليتيم. **والبدار**: العجلة إلى الشيء والمسارعة إليه.

■ **والمراد من قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾:

تحذير الأولياء من المسارعة إلى أكل مال اليتيم قبل بلوغه سن الرشد، ومن تجاوز الحد المسموح به؛ وذلك أنّ طبيعة النفس البشرية مجبولة على حب المال.

وقوله: ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾: منصوبان على الحال؛ أي: ولا تأكلوها حال كونكم مسرفين ومبادرين قبل أن يكبروا.

■ **وجوب المحافظة على مال اليتيم:**

قال الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾:

يخاطب الله تعالى الأولياء والأوصياء في هذه الآية الكريمة بوجوب المحافظة على مال اليتيم، فمن كان غنياً فليطلب العفة ويحمل نفسه عليها حتى يتعود ذلك، وفي هذا إشارة إلى أنّ طبيعة النفوس البشرية ميّالة إلى الاعتداء على حق الغير وإن كان صغيراً ضعيفاً.

ومن كان فقيراً محتاجاً فليأكل بالمعروف؛ أي في حدود ما شرع الله تعالى، وفي حدود ما تعارف عليه الناس حسب أحوالهم. وقد عُرف عن الخليفة عمر ﷺ أنّه أقام نفسه في مال الأمة بمنزلة قيام الولي على مال اليتيم، فقال: «إني أنزلت نفسي من مال الله؛ أي مال الأمة، منزلة والي اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن احتجت أكلت بالمعروف».

وفي ذلك توجيه ونصح للمسؤولين القائمين على شؤون المسلمين أن يتقوا الله تعالى في أموالهم، وذلك بالمحافظة عليها وعدم إضاعتها.

■ الواجب على الأوصياء عند انتهاء الوصاية:

بيّن سبحانه ما ينبغي على الأوصياء فعله عند انتهاء وصايتهم على اليتامى وعند دفع أموالهم إليهم فقال: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾؛ أي: فإذا أردتم -أيها الأولياء- أن تدفعوا إلى اليتامى أموالهم التي تحت أيديكم بعد البلوغ والرشد، فأشهِدوا عليهم عند الدفع بأنّهم قبضوها وبُرئت منها ذمتكم.

وتتجلى الحكمة من الإشهاد على مال اليتيم في أمور مهمة، منها:

- منع حدوث الخصومات والمنازعات.
- إبراء ذمة الأوصياء.
- حتى يكون اليتامى على بيّنة من أمرهم؛ فتبقى المودة قائمة بينهم وبين الأولياء.

■ الله هو المحاسب:

قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾؛ أي كفى بالله محاسباً لكم على أعمالكم وشاهداً عليكم في أقوالكم وأفعالكم، ومجازياً إياكم بما تستحقون من خير أو شر؛ لأنّه سبحانه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء. وإنّكم إن أفلتّم من حساب الناس في الدنيا فلن تفلتوا من حساب الله الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فعليكم أن تتحروا الحلال في كل تصرفاتكم وأفعالكم.

وفي ختم الآية بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾، وعيد شديد لكل جاحد لحق غيره، ولكل معتدٍ على أموال الناس وحقوقهم، ولا سيما اليتامى الذين فقدوا الناصر والمعين.

■ وجوه البلاغة في الآية الكريمة:

تضمنت الآية الكريمة وجوهاً بلاغية عديدة، منها:

- الطباق في قوله: (غنياً وفقيراً).
- المقابلة بين قوله: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ﴾، وقوله: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ﴾.

والفرق بين الطباق والمقابلة: أنّ الطباق يكون بين كلمتين اثنتين، والمقابلة تكون بين جملتين.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

١ على الأوصياء اختبار اليتامى بتتبع أحوالهم في الاهتداء إلى ضبط الأموال وحسن التصرف فيها.

٢ إنّ الأوصياء لا يدفعون أموال اليتامى إليهم إلا ببلوغهم النكاح وإيناس الرشد منهم.

٣ الوصي على اليتيم إن كان غنياً فعليه أن يتحرى العفاف، وإن كان فقيراً فقد أذن الله له أن يأكل من مال اليتيم بالمعروف، وهذا الفعل جائز شرعاً وعقلاً.

٤ على الأوصياء عندما يدفعون أموال اليتامى إليهم أن يُشهِدوا على دفعها إليهم منعاً للخلاف.

التلاوة والتجويد

أحكام المد العارض للسكون (مراجعة عامة)

المد العارض للسكون : هو أن يأتي بعد حرف المد حرف متحرك في آخر الكلمة ثم يسكن بسبب الوقف عليه، نحو الكلمات الآتية في حال الوقف عليها:

﴿ٱلْمُفْلِحُو ﴾، ﴿ٱلْعِبَادِ﴾، ﴿ٱلْمُبِينِ﴾، ﴿يَشَآءُ﴾، ﴿ٱلسُّوٓءَ﴾.

وحكمه: جواز مدّه من حركتين إلى أربع إلى ست حركات.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) الإسراف هو مجاوزة الحد في المال فقط .

ب ( ) الابتلاء هو اختبار وقت بلوغ اليتامى، وهو سن النكاح .

جـ ( ) البلوغ للفتاة يكون بالحيض، أو ببلوغ سن معينة .

د ( ) البِدار هو التأني وعدم العجلة في الشيء .

٢ أبين سبب نزول الآية الواردة في الدرس .

٣ أوضح مفهوم ابتلاء اليتامى كما ورد في الدرس .

٤ أوضح الحكمة من الإشهاد على دفع مال اليتيم .

٥ أذكر ما ترشد إليه الآية الكريمة .

٦ أذكر ما تضمنته الآية الكريمة من وجوه بلاغية .

٧ أتلو الآيات الكريمة الآتية، مبيناً فيها المد العارض للسكون :

أ قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾ إبراهيم : ٤١ .

ب قال تعالى : ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴾ سبأ : ١٠ .

جـ قال تعالى : ﴿ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ البقرة : ٤٩ .

د قال تعالى : ﴿ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ٥٩ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ﴾ النجم : ٥٩ – ٦٠ .

الدرس
٣٠

مبدأ التوارث في الإسلام

قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ النساء: ٧ – ٨.

المفردات والتراكيب:

نصيب: حظ مقدَّر.

مفروضاً: قدراً واجباً لازماً.

فارزقوهم منه: أعطوهم شيئاً يرزقونه.

قولاً معروفاً: قولاً ليناً حسناً من غير إهانة ولا عتاب.

سبب نزول الآيتين:

عن جابر بن عبد الله قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك يوم أُحد شهيداً، وإنّ عمهما أخذ مالهما فلم يدعْ لهما مالاً، ولا تُنكحان إلا ولهما مال. قال: يقضي الله في ذلك؛ فنزلت آية الميراث، فبعث رسول الله إلى عمهما فقال: «**أعطِ ابنتَي سعد الثُّلثيْن، وأعطِ أمَّهما الثُّمُن، وما بقي فهو لك**»[1]. وهذه أول تركة قسمت في الإسلام.

المعنى التفصيلي:

توجب هذه الآيات الكريمة إعطاء كل وارث حقه في مال مورثه من الوالدين والأقربين، من غير تفرقة بين الذكور والإناث، والصغار والكبار، سواء أكان المال المتروك بعد الوفاة للمورث قليلاً أم كثيراً؛ قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ النساء: ٧.

١ أخرجه الترمذي، كتاب الفرائض عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في ميراث البنات.

■ الحث على إعطاء غير الوارثين من التركة:

أوصى القرآن الكريم عند قسمة التركة إعطاء الأقارب غير الوارثين واليتامى والمساكين شيئاً من المال ولو قليلاً، ويسترضى هؤلاء الأقارب ويقال لهم قولاً حسناً، ويعتذر إليهم اعتذاراً جميلاً يهدّئ النفوس، ويستل الضغائن والأحقاد. وإعطاء هؤلاء الأصناف الثلاثة من التركة، وهم القرابة غير الوارثين، والأيتام، والمساكين أمرٌ مندوب غير واجب شرعاً.

والحكمة من ذلك هي الحفاظ على تماسك الأسرة، وتقوية الصلات فيما بين أفرادها، وإبقاء المحبة والتعاون والتآلف، وامتصاص النقمة والحسد من النفوس البشرية.

■ التأكيد على حق النساء في الميراث:

الناظر إلى النص القرآني يجد أنّه أكد على حق النساء في الميراث بمجموعة من المؤكدات، ولعل هذا راجعٌ إلى طبيعة النظرة إلى المرأة في الجاهلية، وأنّه لا حق لها في الميراث؛ لذلك جاء التأكيد على حقها بأمور هي:

١ الأسلوب التفصيلي في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ﴾، ولم يقل: (للرجال والنساء نصيب)؛ وذلك للدلالة على أصالتهنّ في استحقاق الإرث، وللإشعار بأنّه حق مستقل عن حق الرجال، وأنّ هذا الحق قد ثبت لهنّ استقلالاً بسبب القرابة كما ثبت للرجال، حتى لا يتوهم أحد أنّ حقهنّ تابع لحقهم بأي نوع من أنواع التبعية.

٢ قوله: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾؛ أي أنّ حق النساء ثابت فيما تركه المتوفى من مال، سواء أكان هذا المتروك قليلاً أم كثيراً؛ لأنّ الذكور والإناث كلاهما له حق مفروض فيما ترك الوالدان والأقربون، حتى لو كان هذا المتروك شيئاً قليلاً.

٣ قوله: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾؛ لأنّ قوله: (نَصيباً): منصوب على الاختصاص، والاختصاص يفيد العناية؛ أي أنّ لكل من الرجال والنساء نصيباً فيما تركه الوالدان والأقربون، وهذا النصيب قد فرضه الله تعالى، فلا يصح التهاون فيه، بل لا بد من إعطائه لـمَنْ يستحقه كاملاً غير منقوص؛ لأنّ الله هو الذي شرعه، ومَنْ خالف شرع الله كان مستحقاً للعقوبة.

قال صاحب الكشاف: «وقوله: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ نصب على الاختصاص، بمعنى: أعني نصيباً مفروضاً مقطوعاً واجباً لا بد لهم من أن يحوزوه، ولا يُستأثر به».

وعلى الرغم من هذه المؤكدات الدالّة بشكل واضح على حرص الإسلام على حق المرأة في الميراث، فإنّ الكثير من الناس في أيامنا هذه ما زالوا يتهاونون في هذا الحق، فيحرمون المرأة من نصيبها، أو يعطونها أقل مما تستحق شرعاً.

ما ترشد إليه الآيتان :

١ تقرير مبدأ التوارث في الإِسلام .

٢ إبطال عادات الجاهلية فيما يتعلق بعدم توريث النساء والأطفال .

٣ استحباب إعطاء مَنْ حضر قسمة التركة من قريب أو يتيم أومسكين .

٤ الحث على مخاطبة غير الورثة من الأقارب واليتامى والمساكين بالقول الطيب الجميل .

التلاوة والتجويد

أحكام المد المتصل والمنفصل (مراجعة عامة)

- **المد المتصل** : هو أن يكون بعد حرف المد همزة في كلمة واحدة، مثل : (باءوا، السماء، جاءت، سيئت) .

حكمه : وجوب مدّه من أربع إلى خمس حركات، ويمد ست حركات إذا كانت الهمزة متطرفة وتمَّ الوقف عليها .

- **المد المنفصل** : هو أن يكون حرف المد في آخر كلمة، وتكون الهمزة بعده في أول كلمة أخرى مثل : (لا إله إلا هو)، (وما أدراك)، (وما أنت)، (أمروا أن)، (الذي أنشأكم) .

حكمه : جواز مدّه مقدار حركتين، كما يجوز مده أربع إلى خمس حركات . لكن إذا بدأنا القراءة بمدّه مقدار حركتين فيجب الالتزام في الجلسة نفسها بمدّه مقدار حركتين، وإذا بدأنا مدّه مقدار أربع إلى خمس حركات فيجب الالتزام بمدّه بالمقدار نفسه، فإذا جلسنا للتلاوة جلسة أخرى جاز التغيير بمدّه مقدار حركتين .

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) كان العرب في الجاهلية يساوون في الميراث بين الأطفال والكبار .

ب ( ) يقسم الميراث بين الورثة بغض النظر عن كونه قليلاً أو كثيراً .

جـ ( ) أوجبت الآيات إعطاء غير الوارثين من الأقارب واليتامى والمساكين من التركة .

د ( ) يمكن حرمان النساء من الميراث بشرط تطييب خواطرهنّ باستخدام الكلمة الطيبة معهنّ .

٢ أبين سبب نزول الآيات .

٣ أوصى القرآن الكريم بإعطاء الأقارب غير الوارثين واليتامى والمساكين شيئاً من مال التركة ولو قليلاً، أبين الحكمة من ذلك .

٤ أبين المؤكدات المستخدمة في الآيات لإثبات حق المرأة في الميراث .

٥ أستخرج من آيات الدرس المد المتصل .

٦ أبين المد المتصل والمنفصل في الآيات الآتية :

أ قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ الكافرون: ١ - ٦ .

ب قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة: ٣١ .

الدرس
٣١

رعاية الأيتام وحرمة أكل أموالهم

قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ النساء: ٩ - ١٠ .

معاني المفردات والتراكيب:

يخشى: يخاف .

قولاً سَديداً: قولاً صَوَاباً مُنْصِفاً .

سيصلون سعيراً: سيدخلون ناراً مستعرة .

■ سبب نزول الآيتين:

قال الإمام القرطبي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾: روي أنّ هذه الآية نزلت في رجل من غطفان يقال له: مرثد بن زيد، ولي مال ابن أخيه وهو يتيم صغير فأكله؛ فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية .

■ المعنى التفصيلي:

الحث على الإحسان إلى اليتامى من خلال تذكير الأوصياء بأبنائهم:

ذكّر الله تعالى الأولياء أو الأوصياء في معاملة اليتامى بأمر جميل يهز المشاعر والنفوس؛ لإبعادهم عن القسوة على اليتيم، وهو أنّ هؤلاء الكبار الأوصياء مفارقون أولادهم، وربما تركوا ذرية ضعفاء صغاراً يخافون على مصالحهم، فليتقوا الله في أيتام الآخرين، كما يحبون أن يتقى الله في أيتامهم بعد موتهم أوصياء غيرهم، وليقولوا لهم قولاً حسناً سديداً طيباً يجبُر خواطرهم، ويمنع الضر عنهم، ويتفق مع آداب الدين وأخلاق الصالحين، ويعوضهم عن حنان الأب المتوفى، فكل أولياء الأيتام مطالبون بالإحسان إلى الأيتام، وسداد القول لهم، وإحسان معاملتهم ومعاشرتهم، وتقوى الله في أكل أموالهم كما يخافون تماماً على ذريتهم أن يفعل بهم خلاف ذلك .

إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ويأخذونها بغير حق، أو يقصّرون في رعايتها وحفظها إنّما يأكلون في بطونهم أموالاً تؤدي بهم إلى نار جهنم، وسيحرقون بها إحراقاً شديداً .

والتحذير من أكل أموال اليتامى ظلماً؛ كالتحذير من حرمان النساء أو الإناث من حقوقهم المقررة شرعاً في المواريث من تركات أقاربهم.

■ الدعوة إلى نصرة الحق:

قال بعض العلماء: وفي الآية الكريمة ما يبعث الناس كلهم على أن يغضبوا للحق من الظلم، وأن يأخذوا على أيدي أولياء السوء، وأن يحرسوا أموال اليتامى، ويبلغوا حقوق الضعفاء إليهم؛ لأنّهم إن أضاعوا ذلك يوشك أن يلحق أبناءهم وأموالهم مثلُ ذلك، وأن يأكل قويهم ضعيفهم؛ فإنّ اعتياد السوء ينسى الناس شناعته، ويعوّدهم على عمله.

■ إعراب:

١ قوله: ﴿ وَلْيَخْشَ ﴾: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر. ومفعوله محذوف، والغاية من حذفه هي أن تذهب نفس السامع فى تقديره كل مذهب؛ وذلك تخويفاً له مما قد يصيب ذريته.

٢ قوله: ﴿ ضِعَٰفًا ﴾: صفة لذرية. وفى وصف الذرية بالضعف بعث على الترحُّم، وحض على امتثال ما أمر الله به.

■ النهي عن أكل مال اليتيم ظلماً:

توعد سبحانه الذين يعتدون على حقوق اليتامى بأشد أنواع الوعيد؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾. وهذا الوعيد دالٌّ على سعة رحمة الله تعالى وكثرة عفوه وفضله؛ لأنّ اليتامى لـمّا بلغوا من الضعف إلى الغاية القصوى، بلغت عقوبة الله -لـمَنْ ظلمهم- الغاية القصوى.

وقوله: ﴿ ظُلۡمًا ﴾؛ أي يأكلونها على وجه الظلم. **وسر تحديد النهي عن أكل مال اليتيم بحالة الظلم هو:**

١ التشنيع على الآكلين؛ لأنّهم يظلمون اليتامى الضعفاء الذين ليس فى قدرتهم الدفاع عن أنفسهم.

٢ الدلالة على أنّ أكل مال اليتيم من غير ظلم أمرٌ جائز، كما فى حالة أخذ الولي الفقير أجرته من مال اليتيم، أو الاستقراض منه؛ قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ النساء: ٦.

■ الحث على رعاية الأيتام:

حث الإسلام على رعاية الأيتام وحُسن معاملتهم والمحافظة على حقوقهم، ويظهر ذلك في الكثير من نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة، **ومن ذلك:**

١ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ الإسراء: ٣٤.

٢ قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ﴾ البقرة: ٢٢٠.

٣ ما رواه سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنّه قال: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئاً**»[١].

■ الحكمة من اعتناء الإسلام برعاية اليتيم هي:

١ أنّ اليتيم لصغره يعجز عن القيام بمصالحه، ويحتاج إلى مَنْ يسانده في رعاية شؤونه.

٢ الحفاظ على أمن المجتمع واستقراره وقوة تماسكه؛ لأنّ عدم رعاية اليتيم تؤدي إلى الأحقاد في المجتمع. وسبب ذلك: أنّ اليتيم إذا نشأ في بيئة ترعاه وتكرمه وتعوضه عما فقده من عطف أبيه شبّ محباً لِمَنْ حوله وللمجتمع الذي يعيش فيه. وإذا نشأ في بيئة تقهره وتذله وتظلمه نظر إلى مَنْ حوله وإلى المجتمع كله نظرة العداء، وصار من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون؛ لأنّه سيقول لنفسه: إذا كان الناس لم يحسنوا إليّ فلماذا أحسن إليهم؟ وإذا كانوا قد حرموني حقي الذي منحه الله لي، فلماذا أعطيهم شيئاً من خيري وبري؟

■ ما ترشد إليه الآيتان:

١ وجوب النصح والإرشاد لِمَنْ حضره الموت؛ حتى لا يجور في وصيته عند موته.

٢ حرمة أكل مال اليتامى ظلماً، والوعيد الشديد فيه.

٣ وجوب إحسان الأولياء إلى الأيتام خوفاً من أن يُظلم أولادهم بعد موتهم.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب اللعان.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) لا يصح الأكل من أموال اليتامى بأي حال من الأحوال .

ب ( ) معنى ﴿ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ؛ أي شديداً عنيفاً .

جـ ( ) أوصت الآية الأولياء بعدم ظلم اليتامى خوفاً على ذريتهم .

د ( ) إعراب كلمة (ضعافاً) في قوله : ﴿ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا ﴾ حال منصوبة .

٢ أبين سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ النساء : ١٠ .

٣ أبين سر تحديد النهي عن أكل مال اليتيم بحال الظلم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾ النساء : ١٠ .

٤ أبين الحكمة من حث الإسلام على رعاية الأيتام .

٥ أعرب قوله : ﴿ وَلْيَخْشَ ﴾ النساء : ٩ ، وأبين سر حذف المفعول به .

٦ أستخرج أحكام الميم الساكنة من آيات الدرس .

الدرس
٣٢

ميراث أصحاب الفروض (١)

قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ النساء: ١١ .

المفردات والتراكيب:

يوصيكم: من الوصية، وتعني الأمر بالشيء.

فريضة: حقاً فرضه الله تعالى وأوجبه.

المعنى التفصيلي:

اجتماع الأبناء و البنات في الميراث:

بينت الآية الكريمة نصيب عدد من الورثة، فهي بيان للمجمل الذي ورد في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ ﴾ النساء: ٧، وجاء الخطاب في هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ﴾، لا بقوله: (يأمركم)؛ لأنّ لفظ الإيصاء أبلغ وأدل على الاهتمام من لفظ الأمر. ويعني: ضرورة الحرص على تنفيذ الأمر، والتمسك به.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ لفظ عام ينطبق على كل الأولاد، غير أنّ السنّة الشريفة خصصت هذا العموم، فخرج منهم الكافر بقوله ﷺ: «**لا يَرِثُ المؤمنُ الكافرَ، ولا يَرِثُ الكافرُ المؤمنَ**»[1]، والقاتل بقوله ﷺ: «**لا يرث القاتل**»[2].

والمعنى: إنّ الله يأمركم ويعهد إليكم بالعدل في شأن أولادكم، بإعطاء الذكر ضعف الأنثى، وليس في ذلك محاباة للذكور على حساب الإناث كما يتوهم البعض، بل هناك حكمة عظيمة في هذا التوزيع.

١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح.
٢ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الديات، باب ديات الأعضاء.

■ الحكمة من جَعْلِ نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى:

عند الحديث عن نصيب الذكور والإناث في الشريعة الإسلامية لا يصح تعميم الأمر؛ فالذكر لا يأخذ ضعف نصيب الأنثى في كل الحالات، فهناك بعض الحالات يكون نصيب الذكر والأنثى سواء؛ كالأخ والأخت لأم لكل واحد منهما السُّدُس. وأحياناً تأخذ البنات الثُّلثيْن، وأحياناً تأخذ البنت النصف إذا انفردت.

هذا من جهة، أمّا من جهة أخرى فإنّ الذكر يأخذ ضعف الأنثى عندما يجتمع الابن والبنت، والأخ الشقيق أو لأب مع الأخت؛ لأنّ نفقة الأنثى تكون واجبة على الذكر، لذلك فإن الشرع قد فرض هذا النصاب بما يتناسب مع النظام الاجتماعي الإسلامي، والتكوين العائلي، والأعباء التي كلف بها الرجل، فالرجل مكلف بالمهر، ومكلف ببناء البيت، ومكلف بالنفقة على الأسرة، أمّا المرأة فلا تكلف بشيء من ذلك ويبقى نصيبها حقاً خالصاً لها.

■ ميراث البنات:

بيّن الله تعالى كيفية توزيع التركة إن كان الورثة بناتاً كالآتي:

١ إن ترك المتوفى إناثاً: اثنتين فأكثر، فلهنّ من الميراث ثلثا التركة، والباقي تأخذه العصبة من الذكور؛ كالأب أو العم الشقيق؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ النساء: ١١.

٢ إن ترك المتوفى بنتاً ولم يترك ابناً، فللبنت نصف التركة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ النساء: ١١.

٣ تَرِثُ البنت بالتعصيب، إذا كان معها ابن؛ قال تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ النساء: ١١.

■ ميراث الأبوين:

بيّنت الآية أيضاً ميراث الأبوين، ويكون ميراثهما كالآتي:

أولاً: ميراث الأب، وله ثلاث حالات:

- يأخذ السُّدُس فقط إن كان للميت فرع وارث مذكر؛ كالابن وابن الابن وإن نزل.
- يأخذ السُّدُس والباقي عصبة بعد أصحاب الفروض، إن كان للميت فرع وارث مؤنث؛ كالبنت وبنت الابن وإن نزل.
- يأخذ الباقي عصبة بعد أصحاب الفروض إن لم يكن للميت فرع وارث، أو يأخذ كل التركة إذا لم يكن وارث غيره.

ثانياً: ميراث الأم، ولها ثلاث حالات:

- السُّدُس إن كان للميت فرع وارث؛ كالابن والبنت، أو كان له جمع من الأخوة اثنيْن فصاعداً؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾ النساء: ١١.
- الثُّلُث إذا لم يكن للميت فرع وارث لا مذكر ولا مؤنث، ولا جمع من الإخوة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ﴾ النساء: ١١.
- ثُلُث الباقي بعد أحد الزوجين، وذلك إذا كان الورثة أماً وأباً وأحد الزوجين.

■ الحقوق المتعلقة بالتركة:

أخبرنا الله تبارك وتعالى أنّ توزيع الميراث بين الورثة لا يتم إلا بعد أداء الحقوق الآتية:

١ تجهيز الميت وتكفينه.

٢ سداد دينه. والدين يقسم إلى قسمين:

- دَين الله تعالى؛ كحق الزكاة، ومقدار نفقة الحج لِمَنْ لم يحج، أو صدقة الفطر، وكفارة الصيام.
- دَين العباد: وهي حقوقهم الواجبة في ذمة المتوفى.

٣ تنفيذ الوصية.

وقد أجمع العلماء على أنّ الدَّيْن مقدم على الوصية؛ لأنّه يتعلق بحقوق الآخرين، فلا بد من استيفائه من مال الميت تبرئةً لذمته، وحتى تقوم الحياة بين الناس على الثقة في المعاملة والطمأنينة على الحقوق فيعم التعاون ويسود التراحم والتكافل.

والوصية لا تصح إلا في حدود الثُّلُث، ولا تنفذ الوصية إن كانت لأحد الورثة؛ لقوله ﷺ: «**لا وصية لوارث**»[١]، وقوله ﷺ: «**الثُّلُث، والثُّلُث كثير**»[٢].

■ حكمة تقديم الوصية على الدَّيْن في الآية:

قدم الوصية على الدَّيْن في الآية مع أنّ الدَّيْن يستوفى من الميراث قبل الوصية؛ لحكمة عظيمة، وهي أنّ الدَّيْن لازم في الذمة، أمّا الوصية فليست واجبة، لذلك قدمها من أجل الاهتمام بها والتأكيد عليها.

---

١ أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب الوصية بالثلث.

■ **تضمنت الآية الكريمة أساليب عديدة للتأكيد على وجوب الالتزام بأحكام الميراث، منها:**

١ نفي علم الإنسان بالأمر الذي يحقق المصلحة والمنفعة؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ النساء: ١١.

٢ استعمال لفظ الوصية بقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ﴾، وهي أبلغ من الأمر؛ لإفادتها معنى الرعاية والعناية.

٣ التصريح بأنّ هذه الأنصبة مفروضة عليهم بقوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ النساء: ١١.

٤ الإرشاد إلى أنّ الله تعالى أعلم بالمصلحة من عباده، وهو الأحكم في اختيار تشريعاته بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١١.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) يُعطى الذكر من الميراث ضعف الأنثى في جميع الحالات.

ب ( ) تقسم التركة بعد تجهيز الميت وسداد دينه وتنفيذ وصيته.

جـ ( ) إذا لم يكن مع البنت الوارثة أخ تَرِثُ نصف التركة.

د ( ) إذا كان للميت ولد أو عدد من الإخوة فالأب يَرِثُ السُّدُس.

هـ ( ) تَرِثُ الأم نصف التركة إذا لم يكن للميت أولاد.

٢ ما الحكمة من تقديم الوصية على الدَّين مع أنّ الدَّيْن يُدفع من التركة قبل الوصية.

٣ أكدت الآية الكريمة وجوب الالتزام بالأنصبة المفروضة في الميراث بأساليب عديدة، أبين ذلك.

٤ ما الحكمة من جعل نصيب الذكر ضعف الأنثى في الميراث في بعض الحالات.

٥ أذكر حالات ميراث للأم.

٦ أستخرج خمسة مدود وردت في آية الدرس.

الدرس
٣٣

ميراث أصحاب الفروض (٢)

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ النساء: ١٢ – ١٤.

معاني المفردات:

كلالة: مَنْ مات ولم يترك ولداً ولا والداً.

حدود الله: أحكامه وفرائضه.

غير مضار: ألا يضر الموصي في وصيته بالورثة وغيرهم.

المعنى التفصيلي

ميراث الزوج من زوجته:

بينت الآية الكريمة أنّ الزوج والزوجة يَرِثُ أحدهما الآخر، فكما أنّ العلاقة بينهم في بيت الزوجية ينبغي أن تقوم على المودة والمحبة، فمن الوفاء والتكافل أن يَرِثَ كل منهما الآخر، **ونصيب الزوج من زوجته يكون كالآتي:**

١ يأخذ الزوج نصف التركة، إذا لم يكن للزوجة المتوفاة فرع وارث؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ﴾ النساء: ١٢.

٢ يأخذ الزوج رُبْع التركة إذا كان للزوجة المتوفاة فرع وارث؛ كالابن والبنت، منه أو من غيره؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ﴾ النساء: ١٢.

■ ميراث الزوجة من زوجها:

بينت الآية الكريمة أنّ نصيب الزوجة من زوجها كالآتي :

١ تأخذ رُبع التركة إن لم يكن لزوجها المتوفى فرع وارث؛ لقوله تعالى : ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ﴾ النساء: ١٢ .

٢ تأخذ ثُمُن التركة إن كان لزوجها المتوفى فرع وارث؛ لقوله تعالى : ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾ النساء: ١٢ .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ المتوفى إذا كان له أكثر من زوجة، فإنهنّ يشتركنَ في الرُّبع أو الثُّمن .

■ ميراث الكلالة:

بينت الآية الكريمة كيفية تقسيم التركة في **حالة الكلالة**، وهي أن يتوفى الإنسان ولا يترك ولداً ولا والداً، وسّمي بميراث الكلالة من الكَلّ وهو الضعيف؛ لأنّ الميت لم يترك أحداً من أصوله كالأب، أو فروعه كالأولاد، وقد سئل أبو بكر الصديق ﷺ عن الكلالة فقال : أقول فيها برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه . فالكلالة مَنْ لا ولد له ولا والد . وهو قول عمر، وابن عباس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وهو قول الأئمة الأربعة .

■ ويكون ميراث الكلالة كالآتي:

١ أن يموت الرجل أو المرأة وليس لهما ولد ولا والد، وله أخ لأم أو أخت لأم، فلكل واحد منهما السُّدُس؛ لقوله تعالى : ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ النساء: ١٢ .

٢ أن يترك الرجل أو المرأة اثنين من الإخوة لأم فأكثر فيكونون شركاء في الثُّلُث؛ لقوله تعالى : ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ النساء: ١٢ .

ومعنى له أخ أو أخت؛ أي إخوة وأخوات لأم؛ لأنّ الإخوة الأشقاء أو لأب إن اجتمعا فللذكر مثلُ حظ الأنثيين . وهذا يعني أنّ الإخوة لأم يتساوون في الميراث مع الأخوات لأم .

■ الإضرار بالوصية:

نهى الله تعالى أن يقصد الموصي من وصيته الإضرار بالورثة؛ بقوله تعالى : ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ النساء: ١٢ ، **ويكون الإضرار بالورثة في حالات، أهمها :**

١ أن يوصي بأكثر من الثُّلُث .

٢ أن يوصي لأحد من الورثة.

وفي هاتين الحالتين لا تنفذ الوصية إلا بإجازة الورثة.

٣ الوصية بالمعصية، كأن يوصي بأمر محرّم؛ كبناء خمارة. وفي هذه الحالة لا تنفذ الوصية مطلقاً.

■ وجوب الالتزام بأحكام الميراث وعدم مخالفتها:

أكدت الآيات الكريمة وجوب التقيد بالأنصبة التي فرضها الله تعالى وحرمت تجاوزها. فهي أحكام مفروضة من الله تعالى العليم بمصالح عباده، الرحيم بهم؛ بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ﴾ النساء: ١٣.

أمّا من عصى الله تعالى وخالف أوامره ولم يتقيد بهذه الفرائض، فقد أعدّ الله له نار جهنم جزاء عصيانه ومخالفة أمره؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ النساء: ١٤.

■ الحكمة الشرعية من تحديد حق الورثة:

يقوم مبدأ توزيع الميراث في الشريعة الإسلامية على مجموعه من المبادئ والأسس التي تراعي الحِكَم الآتية:

١ الميراث يراعي معنى التكافل العائلي ويوزع الأنصبة على قدر واجب كل فرد من أفراد الأسرة، بحيث يقدم الفروع على الأصول، ثم يليهم أصحاب العصبات من الإخوة والأعمام.

٢ الميراث يراعي أصل تكوين الأسرة البشرية، فالناس مخلوقون من نفس واحدة، لذا لا يحرم امرأة ولا صغيراً لمجرد صغره.

٣ الميراث يطمئن الإنسان الذي يجد ويجتهد، فنتيجة اجتهاده وسعيه سينتفع منه نسله وأهله، فيدفعه ذلك إلى مضاعفة جهده.

٤ الميراث يساعد في تفتيت الثروة، وإعادة توزيعها حتى لا تظل محصورة في يد فئة من الناس؛ ما يؤدي إلى الانتفاع الجماعي بالثروة، وتحقيق تنمية المجتمع وازدهاره.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) للإنسان أن يتصرف في الوصية كيفما شاء دون قيد أو شرط .

ب ( ) يَرِثُ الزوج من زوجته نصف التركة في حالة وجود أولاد لها .

جـ ( ) تَرِثُ المرأة ثُمُن التركة إن لم يكن للزوج أولاد .

د ( ) الكلالة تعني ميراث الإنسان الذي يموت ولا يترك ولداً ولا والداً .

٢ أذكر حالات ميراث الزوج، مع الدليل الشرعي .

٣ أذكر دليلاً شرعياً على وجوب التقيد بأحكام الميراث وعدم مخالفتها .

٤ أذكر حكمتين من حِكَم توزيع الميراث .

٥ أذكر ثلاث حِكَم شرعية من تحديد حق الورثة .

الدرس
٣٤

عقوبة ارتكاب الفاحشة في أول الإسلام

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴾ النساء: ١٥ – ١٦ .

المفردات والتراكيب:

الفاحشة: الفعلة القبيحة، والمراد بها هنا: الزنا.

أربعة منكم: أي أربعة رجال من المسلمين.

أمسكوهنّ في البيوت: أي احبسوهنّ في البيوت لا يخرجنَ.

المعنى التفصيلي:

عقوبة ارتكاب فاحشة الزنا أول الإسلام:

قامت للمسلمين دولة في المدينة تنظم حياتهم وتحكمهم بشريعة الله وترعى شؤونهم بعد أن غرست في نفوسهم العقيدة القوية والأخلاق الفاضلة، وهذه الآيات تتحدث عن تطهير المجتمع المسلم وتنظيفه من الفاحشة، وعزل مَنْ يرتكبنها من النسوة، وإبعادهنّ عن المجتمع متى ثبت عليهنّ ارتكاب جريمة الزنا. ولم تبين الآيات في سورة النساء حد الزنا، ثم جاء بيان ذلك في سورة النور وفي السنّة الشريفة؛ قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾ النور: ٢، وهذا حد البِكر الزاني أو الزانية. أما حد الثيّب فقد جاء بيانه في السنّة النبوية على أنّه الرجم.

والمراد من هذه العقوبات صيانة المجتمع من التلوث والمحافظة عليه عفيفاً نظيفاً شريفاً.

معنى ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ ﴾ النساء: ١٦:

اختلف المفسرون في معنى هذه الآية على قولين:

الأول: أنّ المرادَ بها الزانيان، فهي فاحشة الزنا، وعلى هذا جمهور المفسِّرين.

الثاني: أنّ المرادَ بها اللذان يمارسان فاحشة اللِّواطِ

والأرجح هو القولُ الأول؛ لأمرين:

١ القولُ الأولُ هو قولُ جمهور المفسِّرينَ، وعليه أكثرُ العلماء.

٢ أنّه لَمْ يتقدّم لِلّواطِ ذِكْرٌ في الآيةِ، ولَمْ يُصَرَّح بِهِ في الآية، وأمّا تذكيرُ (اللَّذَانِ) فهو مِن بابِ التغليبِ.

■ التشديد في إثبات الجريمة:

طلب الإسلام لإثبات هذه الجريمة شهادة أربعة رجال عدول من المسلمين يشهدون أنّهم رأوا وقوع الجريمة ممّن ارتكبها رأي العين؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ النساء: ١٥، والمراد بقوله: ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾؛ أي المسلمات، والمراد بقوله: ﴿مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾؛ أي المسلمون، فالإسلام لا يستشهد على المسلمات حين يقعنَ في الخطيئة رجالاً غير مسلمين بل لا بد من أربعة رجال مسلمين، ولا تجوز في هذا الأمر شهادة غير المسلم؛ لأنّه غير مأمون على عرض المسلمة.

■ عقوبة هذه الجريمة عقوبة مؤقتة:

معنى: ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾: لا يختلطنَ بالمجتمع حتى لا يلوثنه، ولا يتزوجنَ، ولا يزاولنَ نشاطاً.

ومعنى: ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ﴾: ينتهي أجلهنَّ وهنّ على هذه الحال من الحبس في البيوت. ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ فيغير عقوبتهنّ أو يتصرف في أمرهنّ بما يشاء؛ ما يُشعر أنّ هذا ليس هو الحكم النهائي الدائم، وإنّما هو حكم لفترة معينة، ثم يصدر حكم دائم ثابت، وهذا هو الذي وقع بعد ذلك، فتغير الحكم وبقي شرط ثبوت الجريمة كما هو: شهادة أربعة رجال عدول زيادة في التثبت في وقوع الجريمة أو بإقرار مرتكب الجريمة أنّه اقترفها ووقع فيها.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خذوا عني. خذوا عني. قد جعل الله لهنّ سبيلاً. البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب، جلد مائة والرجم**»[1].

ولما رجم رسول الله ﷺ ماعزاً والمرأة الغامدية بعد ارتكابهما فاحشة الزنا ولم يجلدهما، دلّت سنته العملية أنّ الرجم دون الجَلد هو الحكم الذي استقر أخيراً، والله أعلم.

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب حد الزنا.

■ **الحكمة من اشتراط أربعة شهود لإثبات الزنا:**

نظراً لعظيم خطر جريمة الزنا وما يتعلق بها من آثار عظيمة على الفرد والمجتمع، فقد احتاط الشرع احتياطاً شديداً في إثباتها، ووضع شروطاً دقيقة لترتيب العقوبة عليها، فلم يثبتها إلا بأحد أمرين:

- الاعتراف الصريح من المتهم.
- شهادة أربعة شهود على أنّهم رأوا حصول الزنا.

والحكمة من هذا التشدد في إثبات الجريمة واشتراط أربعة شهود هي:

١ كون الزنا من أغلظ الفواحش وأخطرها، فغلّظت الشهادة فيه؛ ليكون أستر على الناس.

٢ الدلالة على أنّ معيار العقوبة هو اعتبار أنّ الفعل قد تم أمام المجتمع جهراً وعلانية، وفي ذلك إشاعة للفاحشة والفساد، وعدوان على حرية الآخرين، وتعريض لهم لمفاسد المنحرفين، والله سبحانه وتعالى لا يحب الجهر بالسوء.

■ **ما ترشد إليه الآيتان:**

١ كانت عقوبة مَنْ ارتكبت جريمة الزنا أول الأمر الحبس في البيت وعدم الخروج منه حتى تموت.

٢ ما استقر عليه الأمر في عقوبة الزنا هو جلد الزاني البِكر ورجم الزاني المحصن ذكراً كان أو أنثى.

٣ يحرص الإسلام على نظافة المجتمع الإسلامي وعفته وطهارته؛ لذلك شدد في عقوبة جريمة الزنا.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) المراد بالفاحشة في الآية جريمة السرقة .

ب ( ) تثبُت جريمة الزنا بشهادة رجلين عدلين وامرأتين .

جـ ( ) ما استقر عليه الأمر في عقوبة الزاني جَلد البِكر ورجم الثيّب رجلاً كان أو أنثى .

د ( ) معنى (فآذوهما)؛ أي وبخوهما وعيّروهما .

٢ أبين عقوبة الزانية في أول الإسلام .

٣ اختلف العلماء في معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ ﴾ النساء : ١٦ . أوضح ذلك .

٤ أستخرج من آيات الدرس الأحكام الآتية :

- مد متصل .
- مد بدل .
- إدغام بغنة .
- إخفاء حقيقي .

الدرس ٣٥

التوبة وشروطها

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ النساء: ١٧ – ١٨ .

المفردات والتراكيب:

أعتدنا: أعددنا وهيأنا .

■ قبول توبة التائبين:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ النساء: ١٧ .

أخبر الله سبحانه وتعالى أنّه يقبل توبة التائبين الذين اقترفوا الذنوب والمعاصي وهم ضالون عن الهدى (بجهالة)؛ فكلمة (بجهالة) في محل نصب حال؛ أي أنهم جاهلون حين ارتكاب الذنب، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: أجمع أصحاب محمد ﷺ على أنّ كل معصية فهي جهالةٌ، عمداً كانت أو جهلاً، فإذا رجع هؤلاء عن معصيتهم واستغفروا لذنوبهم وحققوا الشروط المطلوبة للتوبة فإنّ الله يتوب عليهم فضلاً منه ورحمة، فقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾؛ أي على فضل الله ورحمته بعباده أو (على الله)؛ أي عند الله .

قال الإمام القرطبي: اتفقت الأمة على أنّ التوبة فرض على المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ النور: ٣١ .

■ شروط التوبة:

١ أن يخلص العبد لله، بأن يقصد الإنسان بتوبته وجه الله عز وجل، فلا يقصد بذلك مراءاة الناس والتقرب إليهم، ولا يقصد بذلك دفع الأذى من السلطان وولي الأمر، وإنما يقصد بذلك وجه الله والدار الآخرة، ليتوب الله عليه ويتجاوز عنه فيما فعل من المعصية .

٢ الندم على ما فعل من المعصية؛ لأنّ شعور الإنسان بالندم هو الذي يدل على أنّه صادق في التوبة؛ بمعنى أن يتحسر على ما سبق منه وتنكسر نفسه من أجله .

٣ أن يترك الذنب الذي هو فيه، فإن كان الذنب تركاً لواجب فعليه أن يفعله ويقوم به، فمَنْ كان لا يزكي وأراد أن يتوب فلا بد أن يُخرج الزكاة التي مضت ولم يؤدها، ثم يستمر في أداء الزكاة إذا كانت واجبة عليه. وإن كانت المعصية بفعل محرّم فالواجب أن يقلع عنها فوراً ولا يبقى فيها ولو لحظة، فإن كان يأكل الربا فالواجب عليه أن يتخلص من الربا بتركه والبعد عنه وإخراج ما اكتسبه عن طريق الربا، وهكذا.

٤ إن كانت المعصية تتعلق بحق إنسان، فلا بد أن يبرأ من حق صاحبها بالمسامحة أو بردّ حقه إليه، فإن كان مالاً ردّه إليه، وإن كانت ضرباً فيجب أن يمكّن مَنْ ضَرَبَه من نفسه فيضربَه في المكان الذي ضربه فيه؛ قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: ١٩٤.

٥ العزم على ألا يرجع مرتكب المعصية إليها في المستقبل، فإن نوى أن يعود إذا سنحت له الفرصة، فإنّ التوبة لا تصح، فمن كان يشرب الخمر ثم أصابه الفقر ولم يجد المال الذي يشتري به الخمر، فقال: إني تائب وهو يقول في نفسه: عندما أجد المال أشتري الخمر، فلا تصح توبته.

٦ أن تكون التوبة في زمن تقبل فيه، **وذلك على نوعين:**

- **النوع الأول**: بالنسبة لكل فرد، بأن يتوب قبل رؤية الموت وحضور الأجل كما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء: ١٧ - ١٨؛ فقوله تعالى: ﴿يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ فسره قوله بعد ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[1]؛ أي تبلغ الروح مكان الغرغرة وهو الحلقوم.
- **النوع الثاني**: بالنسبة لعموم الناس، حيث يبقى باب التوبة مفتوحاً حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها لم تقبل توبة أحد، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[2].

فمَنْ تحققت في توبته هذه الشروط قَبِلَ الله توبته تفضلاً منه ورحمة، وقد كتب على نفسه الرحمة، وقد أخبر ووعد سبحانه -وخبرُه صدق ووعدُه حقّ- بأنه يقبل توبة العاصين من عباده؛ فقال: ﴿وَهُوَ

١ أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، والترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة.
٢ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول التوبة.

ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الشورى: ٢٥، وقال: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ التوبة: ١٠٤.

■ عدم قبول توبة الكافرين في الآخرة:

تبين لنا فيما سبق حُكم مَنْ آمن وتاب قبل حضور الموت فإنّ الله يقبل توبته، أمّا مَنْ كان مؤمناً ولم يتب حتى لقي الله فأمرُه إلى الله إن شاء عذّبَ وإن شاء غفرَ، وقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النساء: ٤٨.

وأمّا الكافر الذي يموت على كفره فلا تقبل توبته بعد البعث، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ النساء: ١٨؛ أي دائماً مؤلماً.

■ ما ترشد إليه الآيتان:

١ الله لطيف بعباده يقبل التوبة منهم ويعفو عن سيئاتهم، لكن للتوبة شروط لا بد أن تتحقق.

٢ للتوبة وقت تنتهي عنده وهو حضور الأجل بالنسبة للأفراد، وطلوع الشمس من مغربها بالنسبة للمجموع.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) معنى ﴿ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ ﴾؛ أي أعددنا وهيأنا.

ب ( ) لا يقبل الله توبة العاصي إذا زاد عمره عن ستين سنة.

جـ ( ) مَنْ أخذ مالاً من أحد ثم أراد أن يتوب لا تقبل توبته إلا أن يردّ المال إلى صاحبه.

د ( ) يقبل الله توبة الكافرين في الآخرة، حين يرون العذاب فيعترفون بخطئهم.

٢ أذكر أربعةً من شروط التوبة.

٣ أذكر حديثين في قبول توبة العبد العاصي.

٤ أذكر اثنين مما ترشد إليه الآيتان.

٥ أستخرج من آيتَي الدرس الأحكام الآتية:

■ مد متصل. ■ إظهار حلقي. ■ إظهار شفوي. ■ قلقلة صغرى.

الدرس
٣٦

معاشرة الزوجة بالمعروف

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٢٠﴾ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾ النساء: ١٩ – ٢١.

المفردات والتراكيب:

وَلا تَعْضُلوهُنَّ: لا تمنعونهنّ ولا تضيقوا عليهنّ.

مُبَيِّنَة: واضحة ظاهرة.

بِالْمَعْروفِ: ما لا ينكره الشرع والعُرف والطبع.

البهتان: الكذب.

أَفْضى: وصل إليها وصولاً خاصاً، وهو ما يكون بين الزوجين.

ميثاقاً غَليظاً: عهداً مؤكداً رُبط برباط قويّ محكم.

سبب النزول:

كانت المرأة في الجاهلية تعد من قبيل المتاع، حتى كان أقارب الزوج المتوفى يستولون عليها كرهاً. وكان الرجل يمسك المرأة وهو لها كاره حتى تموت فيرثها، فقد روى البخاري: أنّه كان إذا مات الرجل منهم كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاؤوا زوجوها وإن شاؤوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت الآية.

المعنى التفصيلي:

تحريم ظلم المرأة والتعدي على حقوقها:

خاطب الله تعالى عباده المؤمنين في هذه الآية الكريمة بوجوب الحفاظ على حقوق المرأة وعدم التعدي

عليها، فهي إنسانة مكرّمة لا يصح أن تُعاملَ كالمتاع الذي يورَّث كما كان يفعل أهل الجاهلية؛ لما في ذلك من ظلم للمرأة وامتهان لكرامتها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ النساء: ١٩؛ أي لا يحل لكم أيها الأولياء أن تمنعوهنّ من الزواج، كما لا يحل لكم أيها الأزواج أن تضيّقوا عليهنّ ليتنازلنَ عن مهرهنّ أو جزء منه.

وللأسف الشديد فإنّ الكثير من الناس في هذه الأيام مَنْ يخالف هذه التعاليم ويضيق على المرأة ويعاملها بالسوء، حتى يضطرها للتنازل عن مهرها ونفقتها.

■ السر في توجيه الخطاب بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾:

وجه سبحانه النداء إلى المؤمنين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ وذلك:

- ليعم الخطاب جميع المكلفين، فيشمل الأولياء والأزواج وأولي الأمر، وغيرهم.
- ليحرك حرارة العقيدة في قلوبهم، ويستحثهم على الاستجابة إلى ما يقتضيه الإيمان من طاعة لشريعة الله تعالى.

■ متى يجوز عضل النساء؟

يجوز للزوج عضل زوجته بأن يأخذ بعض ما أعطاها من المال والصداق في حالات، أهمها:

- إذا ساءت عشرتها ولم ينفع معها النصح أو التأديب.
- إذا ظهر بالبينة الواضحة والدليل القاطع أنّها ارتكبت فاحشة الزنا.

■ لماذا اشتُرط في الفاحشة الوضوح؟

قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ النساء: ١٩.

يلاحظ في الآية اشتراط الوضوح في الفاحشة؛ وذلك لئلا يستغل بعض ضعاف النفوس من الرجال هذا الأمر فيرمي المرأة العفيفة بشيء لمجرد الظن.

■ وجوب المعاشرة بالمعروف:

حثت الآيات الكريمة الأزواج على وجوب المعاشرة بالمعروف بقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ النساء: ١٩؛ أي عاملوهنّ بالقول الطيب والمعاملة الحسنة، فإن كرهتموهنّ لسوء في أخلاقهنّ أو لعدم جمالهنّ أو تقصير أو مرض أو لهوى في نفوسكم فاصبروا ولا تتعجلوا، فعسى أن تكرهوا شيئاً وفيه خير كثير لكم.

وفي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**»[1]، ومعنى (لا يفرك): لا يبغض. فالمرأة ليست ملاكاً لا تخطئ، فإن حصل منها ذلك ينبغي التسامح معها والعفو عنها، وتَذَكُّر حسناتها.

وكان من أخلاقه ﷺ أنّه جميل العشرة، دائم البِشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويضاحك نساءه، حتى إنّه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ويتودد إليها بذلك.

قالت: «سابقني رسول الله ﷺ فسبقته؛ وذلك قبل أن أحمل اللحم. ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني. فقال: هذه بتلك»[2].

وكان ﷺ يجمع نساءه كل ليلة في بيتِ التي يبيت عندها فيأكل معهنّ العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها.

■ عدم جواز استرداد الزوج شيئاً من المال الذي دفعه:

إذا أراد الزوج تطليق زوجته التي لم تأتِ بفاحشة ظاهرة ولم يصدر منها نشوز وعصيان، والزواج من أخرى، كان قد منح الأولى مهراً معيناً، فلا يأخذ منه شيئاً مهما بلغ؛ لعدم ارتكابها ما يستحق ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ النساء: ٢١ فيه إنكار على الأزواج الذين يفعلون ذلك، بعد أن حصلت بينهم العشرة الزوجية كأثر من آثار عقد الزواج الذي سماه الله ميثاقاً غليظاً؛ أي ميثاقاً عظيماً قوياً.

قال ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهنّ عوان في أيديكم، أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله**»[3].

■ مقدار المهر:

لم تحدد الشريعة الإسلامية حداً أعلى للمهر، بل تركت ذلك لأحوال الناس وظروفهم. وقد خطب عمر رضي الله عنه فقال: أيها الناس لا تغالوا في مهور النساء، فإنّها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ ما أصدقَ امرأةً من نسائه ولا أحداً من بناته فوق اثنتي عشرة أوقية، فقامت إليه امرأة فقالت: يا عمر، يعطينا الله وتحرمنا؟ يقول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ النساء: ٢٠، فقال رضي الله عنه: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرّضاع، باب الوصية بالنساء.
٢ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب السبق على الرِّجل.
٣ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرّضاع، باب الوصية بالنساء.

ولا يعني ذلك أنّ الإسلام يشجع المغالاة في المهور، بل على العكس من ذلك تماماً، فقد ورد عن النبي ﷺ أنّه حث على التقليل في المهر، فقال: «**إن من يمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها**»[1]، فتقليل المهر يؤدي إلى التشجيع على الزواج؛ وذلك لحفظ المجتمع وصيانته من الانحراف والانحلال والفساد.

■ وجوه البلاغة في الآيات:

تضمنت الآيات وجوهاً بلاغية، من أهمها:

- الاستعارة في قوله: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ النساء: ٢١: استعار لفظ الميثاق لعقد الزواج الشرعي؛ للتدليل على أهمية هذا العقد ووجوب المحافظة عليه.
- الكناية عن الجماع بالإفضاء في قوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ النساء: ٢١؛ وذلك لتعليم المؤمنين الأدب الرفيع في الحديث بالتلميح دون التصريح في القضايا الخاصة بين الزوجين.

■ ما ترشد إليه الآيات:

١ النهي عن معاملة المرأة كالمتاع؛ لأنّ ذلك مُنافٍ للكرامة الإنسانية.

٢ النهى عن التضييق على المرأة والإساءة إليها حتى تتنازل عن حقوقها.

٣ معاشرة المرأة بالمعروف والتجاوز عن أخطائها؛ للمحافظة على الحياة الزوجية.

٤ الإرشاد إلى تعلم أدب الحديث.

---

١ أخرجه أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) معنى : ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ النساء: ١٩ ؛ أي لا تجعلوهنّ كالمتاع .

ب ( ) التقليل من المهر فيه تضييع لحقوق المرأة .

جـ ( ) التعبير بقوله : ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ النساء: ٢١ يدل على حرص الإسلام على عقد الزواج واستمراريته .

د ( ) ترشد الآيات الكريمة إلى ضرورة التغاضي عن أخطاء المرأة .

٢ أبين سبب نزول قوله تعالى : ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ النساء: ١٩ .

٣ أوضح الحكمة من توجيه الخطاب في هذه الآيات بقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

٤ أبين معنى قوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ النساء: ١٩ .

٥ أبين الوجه البلاغي في قوله تعالى : ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ النساء: ٢١ .

٦ ماذا يستفاد من الاستثناء في قوله تعالى : ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ النساء: ١٩ .

٧ أستخرج من آيات الدرس أحكام التجويد الآتية :

- مد منفصل .
- مد متصل .
- مد بدل .
- إدغام بغنة .
- إظهار شفوي .

الدرس
٣٧

المحرمات من النساء

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء: ٢٢ – ٢٣.

المفردات والتراكيب:

سَلَفَ: مضى.

مَقْتاً: ممقوتاً ومبغوضاً.

ساءَ سَبيلاً: بئس ذلك طريقاً.

ربائبكم: جمع ربيبة، وهي بنت الزوجة تعيش في بيت زوج أمها.

حلائل أبنائكم: زوجات أبنائكم.

■ سبب النزول:

أورد المفسرون عدة روايات في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ النساء: ٢٢.

ومنها ما رواه ابن أبي حاتم عن رجل من الأنصار قال: لما توفي أبو قيس-يعنس ابن الأسلت- وكان من صالحي الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأته فقالت: إنّما أُعِدُّك ولداً لي وأنت من صالحي قومك، ولكنّي آتي رسول الله ﷺ وأستأمره، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنّ أبا قيس توفي. فقال: خيراً. ثم قالت: إنّ ابنه قيساً خطبني وهو من صالحي قومه، وإنّما كنت أُعِدُّه ولداً لي، فماذا ترى؟ فقال لها: ارجعي إلى بيتك، فنزلت: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ النساء: ٢٢.

المعنى التفصيلي:

حرمة نكاح زوجة الأب:

حرّم الله تعالى في هذه الآية الكريمة على الابن نكاح زوجة أبيه بقوله: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ ﴾ النساء: ٢٢ .

قال ابن عباس ﷺ في تفسيره هذه الآية: «كل امرأة تزوجها أبوك دخل بها أو لم يدخل بها فهي عليك حرام»، والمراد أنّكم تستحقون العقاب لنكاحكم ما نكح آباؤكم إلا ما مضى قبل نزول الآية فهو معفوّ عنه؛ قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ ﴾ النساء: ٢٢، إنّ هذا النكاح كان فاحشة يأباها العقل ويمقتها في الشرع وساء سبيلاً؛ قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ النساء: ٢٢ .

وقد شدد الله تعالى على تحريم هذا النوع من النكاح بوصفه بثلاث صفات:

أولها: أنّه فاحشة؛ لأنّ زوجة الأب تشبه الأم، فمباشرتها من أفحش الفواحش.

ثانيها: المقت: وهو عبارة عن بغض مقرون باستحقار.

ثالثها: قوله: ﴿ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾.

وقوله ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾ . . . إلخ النساء: ٢٢ معطوف على قوله: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ ﴾ النساء: ١٩ . وما في قوله: ﴿ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾ النساء: ٢٢ اسم موصول بمعنى التي؛ أي لا تنكحوا التي نكح آباؤكم.

لماذا خص هذا النوع من النكاح بالنهي؟

خص الله تعالى هذا النوع من النكاح بالنهى مبالغة في الزجر عنه، حيث كان ذلك عادة لهم في الجاهلية.

ما المراد بالآباء؟

المراد بهم: كل الأصول من الرجال؛ أي: تشمل الأجداد جميعاً، سواء أكانوا من جهة الأب أم من جهة الأم.

معنى الاستثناء الوارد في الآية:

الاستثناء في قوله: ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ ﴾ استثناء منقطع؛ والمعنى: لا تنكحوا -أيها المؤمنون- ما

نكح آباؤكم من النساء؛ لأنّه من أفعال الجاهلية القبيحة، أمّا ما قد سلف ومضى منه قبل نزول هذه الآية فلا تُؤاخذون عليه، فمن كان متزوجاً من امرأة كانت زوجة لأبيه من النسب أو من الرضاع، فإنّها تصير حراماً عليه من وقت نزول هذه الآية الكريمة، ويجب عليه أن يفارقها، أمّا ما مضى من هذا النكاح القبيح فلا حرج عليكم فيه، وتثبت به أحكام النكاح من النسب وغيره من الأحكام.

■ حكم هذا النكاح:

أجمع العلماء على أنّ هذا النوع من النكاح -إن وقع بعد نزول الآية- فهو باطل، ويجب التفريق بين الزوجين، ولا يترتب عليه أي أثر من المهر والعدّة والنسب وغيرها.

■ أنواع المحرمات:

قسم العلماء المحرمات إلى قسمين:

القسم الأول: محرمات حرمة مؤبدة، وهنّ:

١ المحرمات بسبب القرابة، وهنّ الأمهات وإن علون، فتحرم على الرجل أمه وجدته، سواء أكانت من جهة الأب أم من جهة الأم؛ لأنّه إذا كان يحرم نكاح العمة أو الخالة فمن الأَوْلى أن يكون نكاح الجدة محرماً، إذ الأم هي طريق الوصول في القرابة إلى هؤلاء.

٢ البنات وإن نزلنَ، وهنّ يشملن بنات الصلب وبنات الأبناء.

وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله: ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ بالعطف على أمهاتكم؛ أي حرّم الله عليكم نكاح أمهاتكم ونكاح بناتكم.

٣ الأخوات وإن نزلن، فقد حرّم الله تعالى نكاح الأخوات، سواء كن شقيقات أو لأب أو لأم.

٤ بنات الإخوة وبناتهنّ، وإن نزلنَ.

٥ بنات الأخوات، وإن نزلنَ.

٦ العمات والخالات القريبة والبعيدة؛ كعمة الأب وخالة الأم.

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ النساء: ٢٣.

■ الحكمة من تحريم هذه الطوائف:

إنّ هذا التحريم يتناسب مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ويتفق مع العقول السليمة التي تحب

مكارم الأخلاق؛ وذلك لأنّ شريعة الإسلام قد نوّهت بمنزلة المحارم من النساء، وأضفت عليها الكثير من ألوان الوقار والاحترام، والزواج وما يصاحبه من شهوات، ورضا واختلاف يتنافى مع ما أسبغه الله تعالى على هذه المحارم من وقار وعواطف شريفه.

إضافة إلى أنّ التجارب العلمية قد أثبتت أنّ التلاقح بين سلالات متباعدة الأصول غالباً ما ينتج نسلاً قوياً، أمّا التلاقح بين السلالات المتحدة في أصولها القريبة فإنّه غالباً ما ينتج نسلاً ضعيفاً.

ثانياً: المحرمات بسبب الرضاع:

يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب؛ فإذا رضع طفل من امرأة فهي أمه تحرم عليه، وزوجها أبوه، وأولادها إخوته؛ قال تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ النساء: ٢٣.

وجاء في الحديث الشريف: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»[1]. وتثبت حرمة الرضاعة، إذا كانت في سن الرضاعة المقررة، وهي سنتان.

■ **الحكمة من تحريم هذا النكاح:**

ومن الحكم التي ذكرها العلماء من وراء تحريم النكاح بسبب الرضاعة: أنّ المولود يتكوّن جسمه من جسم المرأة التي أرضعته فيكون جزءاً منها، كما أنّه جزء من أمه التي حملته. وإذا كانت هذه قد غذّته بدمها وهو في بطنها فإنّ تلك قد غذته بلبانها وهو في حجرها، فكان من التكريم لهذه الأم من الرضاع أن تعامل معاملة الأم الحقيقية، وأن يعامل كل من الْتقى على ثدي امرأة واحدة معاملة الإخوة من حيث التكريم وحرمة النكاح بينهم.

■ **ما يحرم بسبب المصاهرة:**

قال تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ النساء: ٢٣.

بينت هذه الآية الكريمة المحرمات بسبب المصاهرة، وهنّ أربعة:

١ زوجات الآباء، وقد تقدم الحديث عنهنّ.

٢ أمهات الزوجات وإن علون، فقد حرم الإسلام على الرجل أم زوجته التي دخل بها أو عقد عليها.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب الشهادة على الأنساب

٣ بنات الزوجات المدخول بهنّ. وقد أجمع العلماء على حرمة نكاح البنت المدخول بأمها، وحرمة الأم المعقود على بنتها، كما استنبط العلماء من هذه الآية الكريمة القاعدة الشرعية الآتية: «العقد على البنات يحرّم الأمهات، والدخول في الأمهات يحرّم البنات».

والحكمة من تحريم الربائب (بنات الزوجات) على أزواج أمهاتهنّ أنهنّ يشبهنَ البنات الصُلبْيات بالنسبة لهؤلاء الأزواج، بسبب ما يجدنه منهم من رعاية وتربية في العادة، ولأنه لو أبيح للرجل أن يتزوج ببنت امرأته التي دخل بها، لأدّى ذلك إلى تقطيع الأرحام بين الأم وابنتها. ولأدّى ذلك أيضاً إلى الانصراف عن رعاية هؤلاء الربائب خشية الرغبة في الزواج بواحدة منهنّ.

٤ زوجات الأبناء المدخول بهنّ أو المعقود عليهنّ؛ قال تعالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ النساء: ٢٣.

والحلائل: جمع حليلة وهي الزوجة. وسميت بذلك؛ لِحلّها للزوج وحلّ الزوج لها، فكلاهما حلال لصاحبه، ويقال للزوج حليل.

القسم الثاني: المحرمات حرمة مؤقتة، وهنّ:

١ **الجمع بين الأختين**: قال تعالى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ النساء: ٢٣. والمعنى: وحرّم عليكم الجمع بين الأختين معاً في التزويج إلا ما كان منكم في جاهليتكم فقد عفونا عنه وغفرناه. وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين والأئمة قديماً وحديثاً على أنّه يحرم الجمع بين الأختين في النكاح. ومَنْ أسلم وتحته أختان خُيِّر فيمسك إحداهما ويطلق الأخرى لا محالة، فقد جاء في الحديث الشريف عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال: «**أسلمت وعندي امرأتان أختان، فأمرني النبي ﷺ أن أطلق إحداهما**»[1].

٢ **الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها**: كما أنه يحرم الجمع بين الأختين في عصمة رجل واحد، فكذلك يحرم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها أو ابنة أخيها أو ابنة أختها؛ لنهى النبي ﷺ عن ذلك، فقد جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تُنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها، ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها**»[2].

وضابط ذلك أنّ كل امرأتين بينهما قرابة لو كانت إحداهما ذكراً لحرم عليه نكاح الأخرى؛ كالمرأة وعمتها وخالتها وهكذا.

١ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٢٣٢.
٢ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٧٧.

والسر في تحريم هذا النوع من النكاح أنّه يؤدى إلى تقطيع الأرحام؛ إذ من شأن الضرائر أن يكون بينهنّ من الكراهية وتبادل الأذى ما هو مُشاهَد ومعلوم، فكان من رحمة الله بعباده أن حرّم عليهم هذه الأنواع من الأنكحة السابقة صيانة للأسرة من التمزق والتشتت، وحماية لها من الضعف والوهن.

٣ زوجات الآخرين، وسيأتي بيانها لاحقاً.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) مقتاً: تصرفاً محبوباً.

ب ( ) (ما) في قوله تعالى: ﴿مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ النساء: ٢٢ نافية تعمل عمل ليس.

جـ ( ) المراد بالآباء: كل الأصول من الرجال.

د ( ) ساء سبيلاً: بئس طريقاً طريقُ ذلك النكاح.

٢ أذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ النساء: ٢٢.

٣ أبين لماذا خص بالذكر حرمة نكاح زوجة الأب.

٤ أوضح مفهوم الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ﴾ النساء: ٢٢.

٥ أوضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ النساء: ٢٢.

٦ أوضح الحكمة من وراء تحريم النكاح بسبب الرضاعة.

٧ أبين المحرمات من النساء حرمة مؤقتة.

٨ أبين معنى قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ النساء: ٢٣.

٩ أستخرج من آيتَي الدرس أحكام التجويد الآتية:

■ مد متصل. ■ إظهار شفوي. ■ إخفاء شفوي. ■ إدغام بغير غنة.

الدرس
٣٨

من أحكام الزواج

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء: ٢٤.

المفردات والتراكيب:

المحصنات من النساء: المتزوجات.

أجورهنّ: مهورهنّ.

فريضة: حقاً مفروضاً.

■ سبب النزول:

فقد روي عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: «أصبنا سبياً يوم (أوطاس)، ولهنّ أزواج فكرهنا أن نقع عليهنّ، فسألنا النبيّ ﷺ فنزلت الآية فاستحللناهن»، فقد أحل الله للمسلم نكاح المسبية بعد براءة رحمها من زوجها الأول.

■ المعنى التفصيلي:

ذكر سبحانه في الآية السابقة المحرمات من النساء بسبب النسب أو الرضاع أو المعاصرة أو بسبب عارض كالجمع بين الأختين، أو بين المرأة وعمتها أو خالتها. وفي هذه الآية ذكر أنّ المحصنات من النساء بمعنى المتزوجات كذلك يَحْرُمن ما دُمنّ في عصمة رجل آخر.

■ الرق في الإسلام:

قد يقول البعض: إنّ الرق استهانة بكرامة الإنسان وهضم لحقوقه، فكيف يبيحه الإسلام؟

يجاب على ذلك: بأنّه لا أحد ينكر ذلك، ويشار في هذا الصدد إلى أنّ الرق كان موجوداً وقائماً ومألوفاً قبل مجيء الإسلام، بل كان أمراً مقرراً في مناهج البشر، وما كان بالإمكان القضاء عليه دفعة واحدة؛ لما سيترتب على ذلك من أضرار ومفاسد وفتن، مع التنبيه والتذكير بأنّ الإسلام جاء بمجموعة

من التشريعات التي من شأنها الحد من وجود هذه الظاهرة، تمثّلَ ذلك بالعمل على تضييق منابعه وتجفيفها بل والقضاء عليها بشتى الوسائل والطرق، مثل: كفارات القتل العمد والظِّهار واليمين وغير ذلك، وعدّ ذلك من القربات التي يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى، فكان لهذه التشريعات الأثر الكبير في العمل على تحرير الرقيق من العبودية.

■ **معنى قوله تعالى:** ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ﴾ النساء: ٢٤.

المعنى: أنّ الله تعالى أراد أن تُنْكَح النساء بطريق شرعي، وأن تُدفع لهنّ المهور، مع ضرورة الحرص على نكاح العفيفات الطاهرات بالحلال لا عن طريق السفاح والزنا المحرميْن.

فالقصد الشرعي من الزواج هو الإعفاف، وحفظ الماء والنسل الطاهر، فيختص كل رجل بأنثى وكل أنثى برجل، وهذا هو معنى الإحصان، والزاني لا يريد باتصاله بالمرأة إلا إشباع شهواته فقط استجابة لداعي الطبيعة الحيوانية فيه، دون أن يترتب عليه أيّة التزامات تجاه بناء الأسرة وتربية الأولاد.

معنى قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ النساء: ٢٤، أي مهورهنّ التي اتفقتم عليها وفرضتموها على أنفسكم، فريضة من الله العليم الحكيم. وجاءت فرضية المهر للمرأة؛ لتحقيق العدل والمساواة، ولذا سماه الله تعالى نِحلة وعطية. ولا جناح عليكم فيما تراضيتم واتفقتم عليه بعد العقد، فزدتم في المهر أو نقصتم منه أو تنازلت الزوجة عن شيء لمصلحة الحياة الزوجية، إن الله كان عليماً بكل نية وقصد، حكيماً في كل قانون يسنه لعباده.

■ **بمَ يجب المهر؟**

يجب المهر المسمّى كاملاً بموت أحد الزوجين قبل الدخول، أو بالدخول الحقيقي، أو بالخلوة الصحيحة.

ويجب نصف المهر المسمّى بطلاق الرجل زوجته قبل الدخول أو قبل الخلوة الصحيحة.

■ **ما ترشد إليه الآية الكريمة:**

١ إباحة الزواج من ملك اليمين بعد براءة رحمها من زوجها الأول.

٢ التنبيه إلى وجوب أن تكون الغاية من الزواج الإحصان، والعفة عن الزنا والسفاح.

٣ وجوب أداء مهر للمرأة التي يتزوج بها كفرض متفق عليه، مع إباحة التراضي في شأنه بعد تسميته وأدائه زيادة أو نقصاً.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) الرق امتهان لكرامة الإنسان، وقد جاء الإسلام للحد منه والقضاء عليه .

ب ( ) القصد الشرعي من الزواج هو الاستمتاع بالمرأة .

جـ ( ) فرض الله تعالى المهر للمرأة تحقيقاً للعدل والمساواة .

د ( ) لا يجب المهر بالعقد أو الدخول .

٢ أبين المعنى المستفاد من قوله تعالى : ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ النساء : ٢٤ .

٣ أذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة .

٤ أبين موقف الإسلام من الرق .

٥ أبين معنى قوله تعالى : ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ النساء : ٢٤ .

٦ أذكر ما ترشد إليه هذه الآية الكريمة .

٧ أستخرج أحكام التجويد الآتية من الآية الكريمة :

- مد متصل .
- إظهار شفوي .
- مد بدل .
- إدغام بغنة .
- إخفاء شفوي .
- إدغام شفوي .

الدرس
٣٩

من أحكام ملك اليمين

قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ النساء: ٢٥ – ٢٨.

معاني المفردات والتراكيب:

طولاً:	سعة وغنى.
المحصنات:	الحرائر.
فتياتكم:	الإماء.
غير مسافحات:	عفيفات غير زانيات.
ولا متخذات أخدان:	أصدقاء يتسترون بالزنا.
العنت:	مخافة الوقوع في الزنا.
الميل:	العدول عن الحق إلى الباطل.

المعنى التفصيلي:

شروط جواز نكاح الإماء:

بينت الآيات الكريمة السابقة أنّ الزواج الشرعي من الحرائر المؤمنات هو الذي يحفظ سعادة الأسرة واستقرارها. وفي هذه الآيات رخّص لعباده المؤمنين الزواج من الإماء المؤمنات بشرطين، هما:

١ عدم الاستطاعة على نكاح الحرة لعدم القدرة على توفير مهرها ونفقتها؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ النساء: ٢٥. ومعنى طولاً من الطول،

وهو الغنى والسعة في المال والقدرة. والمعنى: مَنْ لم يستطع منكم أن يكون ذا سعة من المال تمكّنه من نكاح الحرائر المؤمنات، فلينكح الإماء المؤمنات؛ قال تعالى: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ النساء: ٢٥، ومعنى ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ أي الإماء المؤمنات، والتعبير بـ(فتياتكم) يدل على تكريم الإسلام للإماء، فقد كان العرب يطلقون عليها عبدة، فنهى النبي ﷺ بقوله: «لا يقل أحدكم عبدي وأَمَتي، ولكن ليقل فتاي وفتاتي»[1]، ويعد هذا التعبير من الأدب القرآني في تعلم أساليب الخطاب والحديث.

٢ الخوف من الوقوع في الزنا؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ النساء: ٢٥، والعنت: الإثم، والمعنى: أنّ الله أباح نكاح الإماء لِمَنْ خاف من الوقوع في الزنا، والصبر في هذه الحال خير من زواج الأمة؛ لأنّ مثل هذا الزواج لا يدوم، وربما عُيِّر الولد بأمّه في المستقبل.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ ظاهرة الإماء غير موجودة في المجتمعات الحالية، وقد كان للتشريعات التي جاء بها الإسلام الفضل الكبير في الحدّ من هذه الظاهرة.

■ موافقة الولي على زواج الأَمة:

بيّن الله تعالى في هذه الآيات الكريمة أنّ هؤلاء الإماء المؤمنات لهنّ حقوق، وربما كانت بعض الإماء أفضل من الحرائر؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ النساء: ٢٥، وقوله: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ النساء: ٢٥؛ أي متصلون في الأنساب من أصل آدم عليه السلام، ويجمعكم الإيمان بكتاب واحد ونبي واحد. والنكاح من الإماء لا يعني حرمانهنّ من حقوقهنّ؛ قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ النساء: ٢٥؛ أي بموافقة أوليائهنّ، وإعطائهنّ حقهنّ من المهر عن طيب نفس؛ قال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ النساء: ٢٥.

ومعنى قوله تعالى: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ النساء: ٢٥؛ أي عفيفات غير مجاهرات بالزنا، ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ النساء: ٢٥؛ أي غير متسترات بالزنا مع الأصحاب والأصدقاء. يقال: امرأة ذات خدن؛ أي تزني سراً.

■ عقوبة الأَمة الزانية:

راعى الإسلام عقوبة الأَمة المتزوجة إذا زنت، فقرر أنّ عقوبتها نصف حد المرأة الحرة غير المتزوجة، وهو خمسون جلدة؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ النساء: ٢٥، ومعنى فإذا أحصنّ؛ أي تزوجنَ. قاله ابن عباس، ومجاهد، والشافعي،

١ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأَمة.

وغيرهم. ومعنى ﴿نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي نصف عقوبة الحرائر الأبكار؛ لأنّ حد الحرائر المتزوجات الرجم.

والحكمة في كون عقوبة الأَمَة نصف عقوبة الحرّة هي تقدير الوضع النفسي للأَمَة، فهي أضعف من المرأة الحرة، وأقل مقاومة منها لإغراء المال، وتقدير قيمة الشرف والحفاظ على العرض؛ فكانت عقوبتها أقل.

ومعنى قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ النساء: ٢٦؛ أي ما خفي عليكم من الخير والصلاح، وما يحل ويحرم، ويريد أن يكشف لكم حِكَمه وتشريعاته التي فيها الخير للفرد والأسرة والمجتمع.

ومعنى قوله: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ النساء: ٢٦؛ أي يرشدكم إلى طرائق الأنبياء والصالحين ومناهجهم؛ لتقتدوا بهم، ويتوب عليكم فيما اقترفتموه من الإثم؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النساء: ٢٦؛ أي عليم بأهوائكم، حكيم فيما شرع لكم من الأحكام.

■ حكمة تكرار التوبة في الآيات:

كرر الله تعالى ذكر التوبة بقوله: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ النساء: ٢٦، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ النساء: ٢٧؛ للتأكيد على سعة رحمته بعباده، فالله سبحانه يحب أن يطهركم من الذنوب والآثام، ويريد لعباده أن يسارعوا إلى التوبة.

وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٢٧ فيه تحذير للمؤمنين من اتباع أصحاب الأهواء والشهوات. والمعنى: إنّ الفَجَرة من أتباع الشيطان يريدون أن تعدلوا عن منهج الحق إلى الباطل، فتكونوا فَسَقة فَجَرة مثلهم، وهم يريدون القضاء على القيم الفاضلة في حياتكم ومجتمعاتكم وأسركم.

■ التيسير على العباد:

بيّن الله تعالى في الآيات الكريمة أنّ من خصائص منهج الإسلام وشريعته التيسير على عباده، فالله تعالى بما شرع من الأحكام لا يريد الحرج ولا المشقة، إنّما يريد التيسير ورفع الحرج؛ قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ النساء: ٢٨، **ومظاهر التيسير على العباد في التشريع الإسلامي كثيرة، منها:**

١ الرُّخَص الشرعية في العبادات؛ كالجمع والقصر في الصلاة للمسافرين، وإباحة الإفطار في رمضان للشيخ والمريض، وغيرها من الرخص.

٢ أنّ ما كلّف الله تعالى عباده من الأحكام هي في مقدور الإنسان، فلا يوجد تكليف فوق طاقة الإنسان وقدرته؛ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: ٧٨.

وقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ النساء: ٢٨؛ أي يعجز عن مخالفة أهوائه، والصبر على شهواته؛ لذلك شرع الله له من التوجيهات والإرشادات والأحكام ما يعينه على التغلب على أهوائه وشهواته.

■ ما ترشد إليه الآيات:

١ الترغيب في نكاح الحرائر المؤمنات العفيفات.

٢ من خصائص التشريع الإسلامي التيسير على الناس.

٣ التشريعات الربانية تهدف إلى تحقيق الخير والسعادة في الدنيا والآخرة للفرد والأسرة والمجتمع.

٤ الإنسان كائن ضعيف ويحتاج إلى تربية إيمانية؛ لتقوية إرادته للتغلب على أهوائه وشهواته.

٥ باب التوبة مفتوح للإنسان، والله يحب توبة عبده، ويغفر له ذنوبه.

٦ تحذير المسلم من اتباع أصحاب الأهواء والشهوات؛ لأنّهم يريدون إضلاله وإفساده وإبعاده عن منهج الحق.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) استعمال القرآن لفظ (فتياتكم) في حق الإماء دليل تكريم .

ب ( ) معنى (ولا متخذات أخدان) غير متسترات بالزنا .

جـ ( ) في حال وجود الإماء في المجتمع لا يشترط في الزواج بهنّ أي شرط .

د ( ) عقوبة الأَمَة الزانية مثل عقوبة الحرة .

٢ أوضح معنى قول الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ النساء : ٢٥ .

٣ ما معنى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ﴾ النساء : ٢٥ .

٤ ما المقصود بقوله تعالى : ﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾ النساء : ٢٥ .

٥ أبين الحكمة من تكرار الحديث عن التوبة في الآيات .

٦ أذكر اثنين من أهم مظاهر التيسير على العباد في التشريع الإسلامي .

٧ أستخرج من آيات الدرس ما يأتي :

- إدغام بغنة .
- إدغام بغير غنة .
- إظهار شفوي .
- إظهار .
- إخفاء .
- قلقلة .

الدرس

٤٠

النهي عن أكل المال بالباطل وعن قتل النفس

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴾ النساء: ٢٩ - ٣١.

المفردات والتراكيب:

الباطل: الحرام؛ كالربا والسرقة.

مدخلاً كريماً: أي مكاناً كريماً، وهو الجنة.

المعنى التفصيلي:

الأمر بالكسب الطيب والنهي عن الكسب الحرام:

نهى الله سبحانه عباده المؤمنين أن يأكل بعضهم أموال بعض بالباطل؛ أي بأنواع المكاسب المحرمة من السرقة والخيانة والغصب والقمار والربا وغير ذلك مما حرمه الله سبحانه ونهى عنه، أمّا ما كان بطريق شرعي شريف؛ كالتجارة إذا كانت برضا البائع والمشتري فقد أحلها الله، قال رسول الله ﷺ: «**إنّما البيع عن تراضٍ**»[1]. قال الإمام ابن كثير في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾ النساء: ٢٩: «الاستثناء منقطع؛ أي لا تتعاطوا الأسباب المحرّمة في اكتساب الأموال، لكنّ المتاجر المشروعة التي تكون عن تراضٍ من البائع والمشتري؛ فافعلوها وتسببوا بها في تحصيل الأموال».

ومعنى الاستثناء المنقطع أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه؛ فالتجارة ليست من أكل أموال الناس بالباطل؛ وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٣٠ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ﴾ الحجر: ٣٠ - ٣١، وإبليس ليس من الملائكة.

---

١ أخرجه ابن ماجه، كتاب التجارات، باب بيع الخيار.

النهي عن قتل النفس:

بعد أن نهى الله عن أكل أموال الناس بغير حق، نهى أيضاً عن قتل النفس؛ فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ النساء: ٢٩؛ أي لا يسفك بعضكم دم بعض، ولا يقتل أحدكم أخاه. وعبّر عن ذلك بقتل النفس؛ فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ النساء: ٢٩ للمبالغة في الزجر عن القتل والنهي عنه، فمَنْ قتل أخاه فكأنّما قتل نفسه؛ كما قال: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ الحجرات: ١١، فالمسلمون كنفس واحدة مَنِ اعتدى على غيره فكأنّما اعتدى على نفسه.

وهذا في قتل النفس بغير حق، أمّا إن كان القتل بحق، بأن يرتكب المسلم ما يوجب قتله فلا حرج في قتله؛ قال تعالى في صفة عباد الرحمن: ﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ الفرقان: ٦٨.

ومن قتْلِ النفس بالحق ما أخبر به رسول الله ﷺ بقوله: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أنْ لا إله إلا الله، وأنّي رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيّب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة**»[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ نهي عن الانتحار بأن يقوم المسلم بقتل نفسه، وقد قال ﷺ: «**مَنْ قتل نفسه بشيء عُذِّبَ به في نار جهنم**»[2].

والنهي عن قتل النفس بغير حق يدل على أمرين:

١ رحمة الله بعباده وتلطفه بهم، حتى لا يحل الفساد والفوضى في المجتمع.

٢ تكريم الله تعالى للنفس الإنسانية، والحث على وجوب صيانتها، والمحافظة عليها، وعدم التعدي عليها بالقتل أو الإيذاء. وقد ورد عن ابن عمر أنّه نظر يوماً إلى الكعبة فقال: «ما أعظمك! وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك»[3].

التحذير من القتل العمد:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ النساء: ٣٠؛ أي ومن يرتكب ما نهى الله عنه من أكلِ أموال الناس بالباطل وقتلِ النفس معتدياً ظالماً ليس سهواً ولا خطأً، فسوف ندخله ناراً حامية يصلاها ويحترق فيها، وهو أمر يسير على الله هيّن عليه؛ لأنّه تعالى لا يعجزه شيء؛ وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ النساء: ٩٣.

---

١ أخرجه البخاري: كتاب الديات، باب قول الله تعالى (إن النفس بالنفس)، ومسلم في كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم.

٢ أخرجه البخاري، كتاب الأيمان، باب مَنْ حلف بملة سوى الإسلام، ومسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

٣ أخرجه الترمزي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن.

ونلاحظ في هذا العصر أنّه نتيجة لابتعاد الناس عن منهج الله وهديه فإنّهم قد تهاونوا في القتل العمد، فأصبحنا نلاحظ وجود جرائم القتل بكثرة لأتفه الأسباب؛ ما يدل على مدى استهانتهم بحرمة النفس البشرية وكرامتها، واستهانتهم بتعاليم دينهم.

■ اجتناب كبائر الذنوب يكفِّر صغائرها:

قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ النساء: ٣١؛ أي إن تتركوا -أيها المؤمنون- الذنوب الكبيرة التي نهى الله عز وجل عنها، نغفرْ لكم صغائر الذنوب، ونمحُها عنكم بفضلنا ورحمتنا؛ قال تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ النساء: ٣١؛ أي ندخلكم الجنة دار الكرامة والنعيم التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلب بشر.

■ معنى الكبيرة:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: **الكبيرة**: كل ذنب توعَّد الله عليه بالنار أو الغضب أو اللعنة أو العذاب.

عن سعيد بن جبير أنّ رجلاً قال لابن عباس: «الكبائر سبع؟ قال هي إلى السبعمائة أقرب، ولكن لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار»؛ أي أنّ الذنب الكبير يغفره الله بالتوبة وكثرة الاستغفار، بينما يزداد إثم الذنب الصغير بالإصرار عليه والدوام على فعله، وقد قال ﷺ: «**إياكم ومحقّرات الذنوب، فإنهنّ يجتمعنَ على الرجل حتى يهلكنه**»[1]، وقد ورد في بعض الأحاديث ذكر عددٍ من الكبائر، منها:

١ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قيل يا رسول الله: وما هنّ؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[2].

٢ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ رسول الله ﷺ قال «**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**»[3].

■ ما ترشد إليه الآيات:

١ النهي عن الكسب الحرام بجميع أنواعه من السرقة والخيانة والربا والقمار.

٢ الترغيب في التجارة؛ لأنّها كسب حلال طيب إذا التزم المسلم فيها تقوى الله تعالى.

---

١ أخرجه أحمد في المسند، والطبراني في المعجم الكبير من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

٢ أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر.

٣ أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب اليمين الغموس.

٣ تحريم دم المسلم، وبيان أنّ الاعتداء عليه بالقتل من كبائر الذنوب.

٤ تحريم الانتحار؛ لأنّ النفس ليست ملكاً للإنسان، وإنّما هي ملك لله؛ لأنّه خالقها.

٥ مغفرة صغائر الذنوب في حال اجتناب الكبائر.

التلاوة والتجويد

إدغام الحروف

١ **الإدغام**: هو إدخال حرف ساكن في حرف متحرك يأتي بعده بحيث يصبحان حرفاً واحداً مشدداً من جنس الثاني، **وينقسم إلى ثلاثة أقسام**:

أ **إدغام المتماثلين**: وهو أن يتفق الحرفان مخرجاً وصفة، مثل: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ﴾، ﴿ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ﴾، ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾، ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾، ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا﴾.

ب **إدغام المتجانسين**: وهو أن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفان في بعض الصفات، مثل: ﴿قَد تَّبَيَّنَ﴾، ﴿عَبَدتُّمۡ﴾، ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾، ﴿قَالَت طَّآئِفَةٞ﴾، ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾، ﴿يَلۡهَثۡ ذَّٰلِكَ﴾، ﴿أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾، ﴿بَسَطتَ﴾، ﴿فَرَّطتُ﴾.

نقلب الحرف الأول ليكون مثل الحرف الثاني تماماً ويسمى إدغاماً كاملاً، إلا في الكلمتين الأخيرتين (بسطتَ) و(فرطتُ) فيسمى إدغاماً ناقصاً، وتلفظ الكلمات السابقة كما يأتي: (قتّبين)، (عبتّم)، (اظّلموا)، (قالطّائفة)، (اركمّعنا)، (يلهذّلك)، (أجيبدّعوتكما)، أمّا المثالان الأخيران فإنّه يلفظ شيء قليل من حرف الطاء فيهما دون قلقلة.

ج **إدغام المتقاربين**: وهو أن يتقارب الحرفان في المخرج، ويختلفا في بعض الصفات مثل: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾، ﴿نَخۡلُقكُّم﴾، وهنا أيضاً نقلب اللام في المثالين الأولين لتكون راء فتلفظ الأمثلة كما يأتي: (برّفعه)، (وقرّبّ)، ويسمى إدغاماً كاملاً، أمّا المثال الأخير فيجوز أن يكون إدغاماً كاملاً هكذا: (نخلكم)، ويجوز أن يكون ناقصاً فيلفظ شيء قليل من حرف القاف دون قلقلة.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) الكسب ينبغي أن يكون شرعياً شريفاً لا حرمة فيه .

ب ( ) البيع لا دخل فيه لإرادة المتبايعين، فلو حصل بالإكراه فهو جائز .

جـ ( ) قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ مقصود به الانتحار فقط .

د ( ) القصاص بقتل القاتل عمداً جائز ؛ لأنّه ليس ظلماً ولا عدواناً .

هـ ( ) من اجتنب صغائر الذنوب غفر الله له كل ذنب عمله .

٢ أبين الحكمة من التعبير في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ مع أنّ القاتل قد يكون قاتلاً لغيره .

٣ أبين معنى الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ النساء : ٢٩ .

٤ أبين معيار الكبيرة حسب ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما .

٥ أذكر حديثاً نبوياً شريفاً اشتمل على بعض الكبائر .

٦ أبين أحكام الإدغام في الكلمات التي تحتها خطوط في الآيات الآتية :

أ قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ الحجرات : ١٢ .

ب قوله تعالى : ﴿ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الأنبياء : ٥٦ .

جـ قوله تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ النساء : ٧٨ .

د قوله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا ﴾ هود : ٤٢ .

هـ قوله تعالى : ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ الكافرون : ٤ .

و قوله تعالى : ﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴾ المدثر : ١٤ .

ز قوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾ آل عمران : ١٢٢ .

المصادر والمراجع

١ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ٣٧مج، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد النجدي، ط١، بيروت – مطابع دار العربية، ١٣٩٨هـ.

٢ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٣مج. ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه محب الدين الخطيب، (د.ط)، بيروت – دار المعرفة للطباعة والنشر، (د.ت).

٣ ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأعمال، ط٢، بيروت – المكتب الإسلامي، ١٩٧٨م.

٤ ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر – بيروت.

٥ ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، ٧مج، ط٢، بيروت – دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٠م.

٦ ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، حكم على أحاديثه الألباني، اعتنى به مشهور آل سلمان، ط١، الرياض – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (د.ت).

٧ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ١٥مج، (د.ط)، بيروت – دار صادر، (د.ت).

٨ أبو حيّان، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، ٨مج، دراسة وتحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، ط١، بيروت – دار الكتب العلمية، ١٩٩٣.

٩ أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، حكم على أحاديثه الألباني، اعتنى به مشهور آل سلمان، ط١، الرياض – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (د.ت).

١٠ الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١٥مج، (د.ط)، بيروت – دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

١١ الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر: إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد، دار المعارف – القاهرة.

١٢ البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ٣مج، بتبويب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، القاهرة – مكتبة الصفا، ٢٠٠٣م.

١٣ البدوي، محمود سيبويه: الوجيز في علم التجويد، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١٤ الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة: سنن الترمذي، حكم على أحاديثه الألباني، اعتنى به مشهور آل سلمان، ط١، الرياض – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (د.ت).

١٥ الجصاص، أحمد بن علي الرازي: أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٦ الجزائري، أبو بكر جابر: أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، ٤مج، ط٢، جدّة – راسم للدعاية والإعلان، ١٩٨٧م.

١٧ جعفر، عبد الغفور محمود: التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، ط١، دار السلام – القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٨ الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين وبذيليه التلخيص، ٥مج، إشراف د. يوسف المرعشلي، (د.ط)، بيروت – دار المعرفة، (د.ت).

١٩ حجازي، محمد محمود: التفسير الواضح، ٣مج، ط٦، القاهرة – مطبعة الاستقلال الكبرى، ١٩٦٩م.

٢٠ الحموي، أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا: القواعد والإشارات في أصول القراءات، تحقيق عبد الكريم بكار، ط١، دار القلم – دمشق، ١٤٠٦ هـ.

٢١ حوّى، سعيد: الأساس في التفسير، ١١مج، ط١، القاهرة – دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥.

٢٢ دراز، محمد عبد الله: النبأ العظيم، دار القلم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

٢٣ الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون، ط٢، دار إحياء التراث العربي.

٢٤ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، ١٦مج، ط١، بيروت – دار الفكر.

٢٥ الرومي، فهد بن عبد الرحمن: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، مصدر الكتاب: موقع الإسلام http://www.al-islam.com.

٢٦ الزحيلي، أ.د. وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ١٥مج، ط١، بيروت، دمشق – دار الفكر المعاصر، دار الفكر، ١٩٩٨م.

٢٧ الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر.

٢٨ الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر: البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١هـ.

٢٩ الزمخشري، محمود بن عمر: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٤مج، حققه محمد الصادق قمحاوي، (د.ط)، القاهرة – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٧٢.

٣٠ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٢مج، ط١، فلسطين – مطبعة النور، ١٩٩٧م.

٣١ السندي، عبد القيوم عبد الغفور: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، مصدر الكتاب: موقع الإسلام http://www.al-islam.com.

٣٢ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

٣٣ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم – بيروت.

٣٤ الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير، ط ١، دار السلام، ١٩٩٦م.

٣٥ الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٠مج، تحقيق أحمد البكري وآخرين، ط٢، القاهرة – دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م.

٣٦ عباس، فضل حسن: إتقان البرهان في علوم القرآن، ط٢، دار النفائس – عَمان، ٢٠١٠م.

٣٧ عباس، فضل حسن: القراءات القرآنية، ط١، عمان – دار النفائس، ٢٠٠٨م.

٣٨ العبيد، علي بن سليمان: جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابةً، مصدر الكتاب: موقع الإسلام http://www.al-islam.com.

٣٩ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ٢٢مج، (د. ط)، بيروت – دار الفكر، (د.ت).

٤٠ القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن، ط١٣، القاهرة – مكتبة وهبة، ٢٠٠٤م.

٤١ قطب، سيد: في ظلال القرآن، ٦مج، ط١٧، بيروت، القاهرة – دار الشروق، ١٩٩٢م.

٤٢ مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، ٥مج، رقّمه وعّلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، بيروت – دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.

٤٣ النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن: سنن النسائي، ٦مج، تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري، بيروت – دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٤٤ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق محمد الحجار، دار ابن حزم.

٤٥ الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري: أسباب النزول، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، الدمام - دار الإصلاح.

مواقع على الإنترنت:

١ موقع إعجاز القرآن الكريم. http://www.al-i3jaz.com/

٢ موقع الدكتور زغلول النجار. http://www.elnaggarzr.com/

٣ موقع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية. http://www.eajaz.com/

٤ موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. http://quran-m.com/